الفصل الثاني

آثاره وأبعادها الفكرية

obeikandl.com

تمهيد:

عقدنا هذا الفصل للوقوف عند آثاره الفكرية وتتبع ما نسب إليه وفُقد؛ وما وصل منها إلينا حتى الآن لنتعرف إلى شيء من أبعادها التي تشتمل عليها. وقد تناقلت الأقلام بعضها عن بعض اتهام ابن المقفع بالزندقة وتعصبه لفارسيته بل جعلته صفيقاً؛ يتفاخر بأصوله وهو يعيش في دولة ديانتها التوحيد، ودستورها نبذ التعصب. وأدعت تلك الأقلام أن آثاره تدل على مذهبه في الحياة، فلم يترجمها إلا بدافع إحياء الدين الفارسي القديم، وإحياء سير ملوك الفرس افتخاراً بصنائعهم وحكمهم؛ وإظهاراً لتخلف العرب والتهكم بهم، لأنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

وإذا كان بعض الأدباء والشعراء قد وقع في ذلك؛ لأن الإسلام لم يتمكن من نفسه فإن العاقل المنصف لا يمكنه تعميم أي حكم كان، ولا يمكن أن يصم ابن المقفع بالزندقة وغيرها لأنه ترجم الآثار الفارسية؛ وإنما نعتقد به شيئاً آخر. فقد أراد للسلطان أن يتعهد قلبه بسماع آثار من سبقه (وقراءة سيرهم، وأخبارهم وهديهم، ويتفكر فيما أقام الله - عز وجل – من دلائله الواعظة، وأعلامه الشاهدة في أرضه وسمائه؛ وفي من كان قلبه من الملوك الماضية؛ ليعرف بذلك حاله، ويرى نفسه فإنها قائمة نصب عينه؛ تخاطبه وإن لم ينطق، وتعظه وإن لم يسمع)[1].

فمن يقرأ سير التاريخ ويتعظ بها، ويتدبر أمرها تستقم حال ملكه ورعيته،

(1) انظر نصيحة الملوك 121- 122 وابن المقفع.

obeikandl.com

هذه هي حال ابن المقفع مع دولة ابن العباس في أول ظهورها. ولعل الدرس التاريخي المنطقي نفسه يثبت هذا؛ فالكتابات الأولى التي ظهرت في هذه المرحلة تؤيد ما نذهب إليه؛ فلم يكن فيها فرصة واحدة ذات اتجاه شعوبي؛ وإنما كانت دعوة العباسيين مغلفة – قبل إعلانها - بالدعوة إلى بني هاشم؛ وقد اجتمع الناس على هذا في بني أمية. أما الكتاب من الفرس وغيرهم فقد دخلوا دواوين الخلافة، والولايات منذ العهد الأموي؛ وقدموا جملة من الخدمات في الترجمة، والكتابة الديوانية والإخوانية.

ويعد (سالم) مولى هشام بن عبد الملك من طلائع الكتاب. فقد نسب إليه أنه أول مبتدع، ومطوراً لفن الرسائل، هذا الفن الذي ذهب به عبد الحميد بعيداً، وكان يرأس دواوين مروان بن محمد؛ ويكتب رسائله[2].

وفي وسط الحركة التاريخية أخذ الأدباء والكتاب، ولا سيما الفرس يفرضون أنفسهم على دواوين الدولة ويحملون مهمات عظيمة ازدادت قيمتها في بداية دولة بني العباس، ثم أخذ الولاة والوزراء يتعهدون أنفسهم في معرفة الكتابة وشؤونها؛ بعد أن ظلوا يتخذون الكتاب في شؤونهم؛ ويصطنعونهم لأعمالهم.

وبذلك كله حظي الكتاب والأدباء بمكانة رفيعة تزيد أحياناً على مكانة بعض الوزراء والولاة، ولما كانت دولة بني أمية في الشام ومركزها دمشق بعيدة عن فارس وأقرب إلى غيرها اتصل بها عناصر أخرى أكثر من العنصر الفارسي؛ علماً بأن القبائل العربية الكثيرة كانت تسكن بلاد الشام.

(2) انظر الوزراء والكتاب 62 والفهرست 170و 71 و التنبيه والإشراف 93 ومن حديث الشعر والنثر 28- 29 – 33 والفن ومذاهبه في النثر 110.

obeikandl.com

مما جعل تأثرها بالفارسية أقل من تأثرها بغيرها. ولما انتقلت الخلافة إلى العراق في عهد بني العباس؛ وهي أقرب إلى فارس، ولها صلات قديمة معها منذ المناذرة في العصر الجاهلي – على الأقل – كان تأثر الدولة بالثقافة الفارسية واضحاً، إذ طبعت الحضارة العربية الإسلامية بكثير من خصائصها؛ فضلاً عن أن كثيراً من أركان دولة بني العباس كانوا من العنصر الفارسي[3].

ولهذا كله ظهرت الحركة الفكرية والأدبية والعلمية كأنها ذات وجه فارسي؛ لسيطرة أبناء فرس عليها أكثر من غيرهم، ومما هيأهم للانخراط فيها بقوة واقتدار أن أكثرهم كان يجيد اللسانين العربي والفارسي.

ولقد كانوا حريصين على أن يضمّوا الآدب الفارسية إلى الآداب العربية؛ إذ أصبح هذا مما يتطلبه الأدب نفسه، فالأديب يجب أن يعرف القرآن الكريم مادة وأسلوباً ومبادئ؛ وسنة المصطفى قولاً وفعلاً؛ وما يتعلق بالخلافة الراشدة ورجالها، وأن يتعرف إلى حكم العرب وتاريخهم قبل ذلك، وكل من يعرف أكثم بن صيفي وقس بن ساعدة عليه أن يعرف أيضاً حكم (بُزُر جُمِهر)، وتاريخ فارس وسير ملوكها مثل كسرى وسابور وأبرويز.

ويتضح هذا كله من مقدمة ابن المقفع في الأدب الكبير، ومنها: (فمنتهى علم عالمنا في هذا الزمن أن يأخذ من عملهم، وغاية إحسان محسننا أن يقتدي بسيرهم. وأحسن ما يصيب من الحدث محدثنا أن ينظر في كتبهم فيكون كأنه إياهم يحاور، ومنهم يستمع، وآثارهم يتبع. غير أن الذي نجد في كتبهم هو المنتخل من آرائهم والمنتقى من أحاديثهم. ولم نجدهم غادروا شيئاً يجد

(3) انظر مثلاً: البيان والتبيين 3/ 206 وضحى الإسلام 1/ 40 وبعد و 172 وبعد.

واصف بليغ في صفة مقالاً لم يسبقوه إليه: لا في تعظيم لله – عز وجل – وترغيب فيما عنده، ولا في تصغير للدنيا وتزهيد فيها، ولا في تحرير صنوف العلم، وتقسيم أقسامها وتجزئة أجزائها، وتوضيح سبلها، وتبيين مآخذها ولا في وجود الأدب، وضروب الأخلاق. فلم يبق في جليل من الأمر لقائل بعدهم مقال. وقد بقيت أشياء من لطائف الأمور؛ فيها مواضع لصغار الفطن، مشتقة من جسام حكم الأولين وقولهم.

فمن ذلك بعض ما أنا كاتب في كتابي هذا من أبواب الأدب التي يحتاج إليها الناس)[4]

هذا هو منهجهم كما يعترف به ابن المقفع نفسه، وهو في نظرته إلى القدماء يتجه إلى تنزيههم عن كل خطل.. ويبالغ في ذلك ولكنه المنهج الذي اقتدى به.،هو ومن كان في عصره.. ولعل الفراق بينه وبين صديقه عبد الحميد الكاتب أنه قال مقالته تلك والفتن تطل برأسها بكل اتجاه؛ على حين قال عبد الحميد مقالته التالية وهو مستقر مطمئن؛ وكان كلاهما يوضح المنهج الذي اختطه في الكتابة له ولمن بعده. فقد أوصى الكتاب بقوله:

(فنافسوا معشر المتاب في صنوف العلم والأدب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله – عز وجل – والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وأرووا وأعرفوا غريبها ومعانيها / وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهممكم، ولا يضعفن نظركم في الحساب، فإنه قوام كتاب الخراج

(4) الأدب الكبير 68- 69 وانظر أمراء البيان 96.

obeikandl.com

منكم)[5]

من هنا انتهت الآداب عندهم إلى عشرة (فثلاثة شهر جانية، وثلاثة أنوشروانية؛ وثلاثة عربية، وواحدة أربت عليهن؛ فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج، ولعب بالصوالج؛ وأما النوشرانية فالطب والهندسة والفروسية؛ وأما العربية فالشعر والنسب وأيام العرب؛ وأمام الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس في المجالس)[6].

لهذا تطور معنى كلمة أدب من المفهوم الخلقي الذي عرف في صدر الإسلام إلى معرفة باللغة والشعر وأيام العرب وتاريخها في العهد الأموي، ومن ثم أصبح في العصر العباسي (الأخذ من كل علم بطرف).فالأديب لا بد له أن يلم بمعارف كثيرة من الثقافة العربية والفارسية.

هكذا فهم ابن المقفع رسالته في صناعة الكتابة ومهمته في مواجهة الواقع الذي يعيش فيه؛ وهو الصديق الصدوق لعبد الحميد؛ بل كان يحذو حذوه في صناعة الكتابة، حتى عدا من مدرسة واحدة. وقد دخل أروقة دواوين الولاة ولم يكن مسلماً، وعقد العزم على ترجمة الآثار الفارسية؛ بما فيها من مذاهب دينية؛ فكان أحد المترجمين الذين ذكرهم ابن النديم مع آل نوبخت وغيرهم،[7] إن لم يكن الأبرز فيهم، كما نستدل عليه من مقولة لحمزة الأصبهاني؛ منها: (اتفق لي ثماني نسخ من تاريخ فارس وهي كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع، وكتاب تاريخ سير ملوك الفرس من نقل محمد ابن

(5) انظر الوزراء والكتاب 73 وأمراء البيان 66 وبعد الفن ومذاهبه في النثر 115 وانظر عيون الأخبار 1/ 26.
(6) زهرة الأدب 1/ 142.
(7) انظر الفهرست 173 و 182 وضحى الإسلام 1 / 172- 173 و 177.

obeikandl.com

الجهل البرمكي، وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون، و..)[8].

لهذا مد ابن المقفع يديه إلى خزانة التاريخ الذي يعرفه عن كثب، وشرع يترجم ما فيه هو وغيره. فكانت مرحلته مرحلة اتصال حقيقي بين العرب والفرس؛ وبدأ الجميع يكتبون فيما يعرفون من آثارهم عرباً وغير عرب،بل إننا نمضي هنا مع الدكتور طه حسين لنقول معه: (إن الأدب الفارسي الحي إنما نشأ بعد أن اتصل الفرس بالعرب وبعد أن تعلموا العربية)[9]، فكانوا جميعاً كتاباً لأبناء الدولة الإسلامية الناهضة؛ ولم يكونوا كتاباً لفئة بعينها ومن ثم لم يكن ابن المقفع كاتباً للفرس كما قال الدكتور شوقي ضيف[10]. وما تركه من ترجمات تثبت أنه واع لما يفعل، ولم يخترق أي محرم ديني أو اجتماعي حين مارس حرية التفكير و الكتابة؛ وتثبت أنه لم يكن مدلساً عليهم من جهة، ولم يصنع أياً من السير القديمة لغرض شعوبي كما انتهى إليه الجاحظ من جهة أخرى[11]. ولا شيء أدل على هذا من ظهور بعض أصول كليلة ودمنة، وأشياء أخرى فضلاً عن اجتماع القدماء والمحدثين على أمانته.

وفي صميم هذه الرؤية يمكننا أن نظهر ذلك بعرض الآثار المنسوبة له والمفقودة؛ ومن ثم نتوقف عند الآثار المترجمة والمؤلفة الموجودة؛ مما وصل إلينا.

(8) ضحى الإسلام 1/ 178، وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء 10.
(9) من حديث الشعر والنثر 30.
(10) انظر الفن ومذاهبه في النثر 110.
(11) انظر البيان والتبيين 3/ 29 وراجع حاشية (1 و 3) في مدخل الفصل الأول.

obeikandl.com

المنسوبة إليه والمفقودة:

تثبت الآثار التي نقلها ابن المقفع إلى العربية أنه كان مثقفاً ثقافة فارسية عالية فضلاً عن الثقافة العربية، وكان متضلعاً بحرفة الكتابة وصنعة التأليف.

وكان إذا ترجم آثراً فارسياً لا يأخذ منه (ما لا تأبه السليقة العربية)، بل يدمجها في ثقافتها وبلغتها؛ وكأنه أحد أبنائها الفصحاء[12].

وطارت شهرة ابن المقفع في الآفاق، في الترجمة والتأليف فنسبت إليه ترجمات ليست له كما يبدو، ومن ثم نسب إليه أنه ترجم العديد من الكتب عن اللغة اليونانية الأصلية. وكأن المعجبين به لم يقنعهم أن يتقن اللغتين الفارسية والعربية فأراد له معرفة لغة أخرى، وقد يقول قائل: إن ابن المقفع ترجم آثاراً يونانية منقولة في الأصل إلى الفارسية، منها كتب الفلسفة كالمنطق.

وفي ضوء ذلك رأينا المسعودي ينفرد بذكر كتابين لابن المقفع لم يذكرهما غيره، وهما:

أ - كتاب (البنكش) عرض له حين تحدث عن أفعال ملك فارسي فقال: (وما كان من أفعال أسبنديار وما وصفناه فمذكور في الكتاب المعروف بكتاب (البنكش) نقله ابن المقفع إلى لسان العرب)[13].

ب - كتاب (السكيكين) وأورد اسمه ونسبته حين ذكر ملك

(12) انظر من حديث الشعر والنثر 49 وأمراء البيان 89 وبعد والفن ومذاهبه في النثر 141 – 143.
(13) مروج الذهب 194/1 وانظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 96.

obeikandl.com

الفرس (فراسياب) فقال: (هذا كله مشروح في الكتاب المترجم بكتاب (السكيكين) ترجمه ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية)[14].

و ذهب بعض الباحثين إلى أن اسم الكتاب (النسكين)، بينما يرى الأستاذ (ماركورات) أن اسمه (السكيسران) نسبه إلى (سكا) وهم قوم يعيشون في شرق إيران،واسم الكتاب الأول (البيكر) ومعناه في الفارسية (القتال) على حين يعتقد (بلوشيه) أن الاسمين لكتاب واحد، وهما محرفان عن كلمة (البندهش) وهي عنوان الكتاب[15].

وأياً كان الأمر فالكتابان ليسا لعبد الله، وإنما هما لغيره، وقد يكونان لابنه محمد، أو غيره؛ فشهرة الرجل بالترجمة وبلاغته في الكتابة جعلت الآخرين بعده ينسبون إليه عملهم لترويجها بين الناس.

رجح بعض الباحثين أن ابن المقفع ترجم بعض الآثار اليونانية في الفلسفة كالمنطق والنجوم وغيرهما؛ ومنهم من يرى أنها كانت منقولة في الأصل إلى الفارسية مثل ابن النديم[16].ويقول صاعد الأندلسي: (إن أول علم عُني به من علوم الفلسفة هو علم المنطق والنجوم. فأما المنطق فأول من اشتهر به في هذه الدولة عبد الله ابن المقفع الخطيب الفارسي؛ فأنه ترجم كتب أرسطاطاليس المنطقية الثلاثة؛ وهي:

(14) مروج الذهب 1/ 226 وانظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 2/ 96 وأمراء ابيان 89.
(15) انظر ذلك كله في تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 96، وعنه أخذ صاحب ابن المقفع كل ما يتعلق بأوصاف هذه الكتب دون إشارة (148- 149).
(16) انظر الفهرست 337 ومن حديث الشعر والنثر 29 وتاريخ الأدب العربي (الزيات) 214.

obeikandl.com

أ - كتاب قاطاغورياس، أو (المقولات العشر).

ب - كتاب باري أرمينياس، أو (العبارة).

ت - كتاب أنا لوطيقا، أو تحليل القياس».[17].

وقيل: لم يترجم حتى عهده إلا الأول؛ وذكر أنه ترجم كتاباً آخر من تأليف (فرفريوس الصوري) وهو (المدخل إلى علم المنطق) المسمى (إيسا غوجي) ورأى ابن النديم أنه من ترجمة أيوب بن القاسم[18].

وناقش بعض المستشرقين هذه المسألة، ورأى أن البحث الحديث أن كتب المنطق ولا سيما كتب أرسطوطاليس ترجمت من السريانية إلى العربية؛ ولعل سالماً مولى هشام بن عبد الملك نهض بذلك؛ لحذق الرجل باليونانية وهو من بلغاء الكتابة[19] ولا صحة للرأي القائل: إن ابن المقفع ترجم ذلك. ويرى (بول كراوس) إن من ترجمها عن السريانية هو محمد بن عبد الله بن المقفع ويوافقه المستشرق الإيطالي نللينو[20] ويسميه بركلمان أحمد[21].

وهذا رأي فيه نظر؛ لأن الفرس كانوا قد ترجموا بعض كتب أرسطو إلى الفهلوية القديمة؛ فلعل عبد الله بن المقفع ترجم شيئاً منها؛ وإن لم يصل إلينا منها شيء؛ وكانت بعض كتب المنطق قد ترجمت للمنصور، فهو أول خليفة

(17) طبقات الأمم 77 و انظر الحيوان 1/ 76 و مقدمة لبن خلدون 490 والفن ومذاهبه في النثر 140 والعصر العباسي الأول 511 والإعلام 4/ 140.
(18) الفهرست 341.
(19) انظر الفهرست 171 و 337 و 141 والفن ومذاهبه في النثر 110 وانظر التنبيه والإشراف 66 ومقدمة ابن خلدون 486 و 490.
(20) انظر ابن المقفع 154- 155.
(21) انظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 98.

obeikandl.com

مسلم ترجمت له مثل هذه الكتب[22].

وكذلك لم يصل إلينا كتب أخرى قيل: إنه قد ترجمها من الفهلوية، وذكر أكثرها ابن النديم؛ وسنعرض لها تباعاً.

آثاره المفقودة:

أ - خداي نامه في السير: وسماه ابن المقفع (تاريخ ملوك الفرس) وأفاد منه الطبري في كتابة تاريخه المشهور، وذكره غير واحد من القدماء والمحدثين[23] وقيل: أن اسمه في الفهلوية (خداينامك)؛ ومعناه بالعربية (كتاب الملوك) أو كتاب السعادة أو نحو ذلك، ثم أضيفت كلمة (السير) لتدل على مضمونه[24] وليست من الأصل كما يبدو لنا.

ولا زال الكتاب مفقوداً؛ ولكن الذي نقل عنه يوحي بأنه كتاب تاريخي في سير ملوك فارس؛ ويبدأ من عهد أول ملك خرافي، وهو الملك (كيومرت) وينتهي إلى عهد كسرى أبرويز. ويمتزج فيه التاريخ الحقيقي بالخرافي ويبدو أن الفردوسي قد نقل عنه في كتابه (الشاهنامه) الكثير من الأخبار[25] كما يراه الأستاذ (نولدكه) وإن لم يكن وحده مصدره لذلك. وقيل أنه عرف في عهد كسرى أنوشروان، وحوى أخبار الشرائع الزرداشتية، وقصص اليونان المترجمة إلى الفهلوية.

---

(22) انظر مروج الذهب 4/ 314 والفهرست 337.
(23) انظر مثلاً مروج الذهب 2/ 42 والتنبيه والإشراف 92 وضحى الإسلام 1/ 177 وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء 10 وابن المقفع 176 وتاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 96 وانظر حاشية 68- 96 من الفصل الثالث.
(24) هي تسمية الفهرست 172.
(25) انظر تاريخ الأدب في إيران 9- 10 والفن ومذاهبه في النثر 138.

obeikandl.com

وهذا يؤكد لنا أن ابن المقفع بدأ مؤخراً؛ وفي ذهنه مشروع إعادة كتابة التاريخ القديم؛ ليصل بين الحضارتين اللتين ينتمي إليهما، ولهذا كتب أيضاً (آيين نامة).

ب - آيين نامه في الإصر: ومعنى كلمة (آيين): رسم واختط، وقيل: هي فارسية عربها العرب بمعنى القانون أو الرسوم؛ وقال المسعودي: (وهذا الكتاب من جملة آيين نامه) فالكلمة فارسية ومن معانيها الخطة، والعادة[26]؛ ثم قيل: (آيين نامه في الإصر)[27] والإصرار بالعربية العهد والميثاق والعقد[28]. وقد نستنتج من ذلك كله أنه يشتمل على جملة من قوانين فارس وعاداتهم وآدابهم في مراسيم الملوك في الحرب والصيد وغير ذلك.

ونقله ابن المقفع من الفهلوية ولا يزال مفقوداً، ونرجح أن يكون اسمه (الآيين) كما ذكره غير مرة ابن قتيبة في نقوله عنه في (عيون الأخبار)؛ كقوله (قرأت في الآيين)[29] ورجح هذا الرأي بركلمان[30] وفيه ما يستدل على بعض المراسيم والعقائد.

ويتضح لنا أنه كان بين يدي ابن قتيبة المتوفى (276هـ)؛ ولعل الزمن يجود به من جديد، ولكن هذه النقول تؤكد أنه بيان لأنظمة الملك وتدبير شؤون

(26) انظر التنبيه والإشراف 91 و 92 ونصيحة الملوك 57 و 99 و 392 وتاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 97 وابن المقفع 178 و181.
(27) هي تسمية الفهرست 172.
(28) انظر اللسان (أصر) ونصيحة الملوك 57 حاشية (70).
(29) انظر عيون الأخبار 1/ 133 و 151 و 3 / 221.
(30) انظر تاريخ الأدب العربي (نللينو) 3/ 97 والفن ومذاهبه في النثر 138.

obeikandi.com

الحكم، وفيه بعض العقائد. وكان ابن المقفع حاول تقريب حياة ملوك فارس وتقديم ما كانوا يخطونه من مراسيم لنفيد منها، لا لنؤمن بها كما هي دون تغيير، فالأحمق وحده من يفعل هذا.

ت - رسالة (تنسر): ليست من الكتب التي ذكرها ابن النديم؛ وقد انفرد بذكرها بهاء الدين محمد بن حسين بن إسفندريار صاحب كتاب (تاريخ طبرستان)، ونسبها إلى ابن المقفع.

ويظهر أنه كتاب كتبه (المؤبذان مؤبذ) المعروف باسم (تنسر) بين عام (226 - 241م) وهي المدة التي حكم بها أردشير الملك. ويرى بعض المحدثين إن الكتاب جاء رداً على رسالة بعث بها الأمير الطبرستاني إليه.

ويعالج الكتاب شؤون الحكم، ويبين أنظمة القضاء، وفنون الحرب، ويتوقف عند بعض سبل الحياة، ولا زالت نسخة الكتاب العربية مفقودة؛ وقيل: نقل عنها ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) بعض النقول بينما قيل: أن النسخة الفارسية المترجمة عن العربية في وقت متأخر قد عثر عليها[31].

ث - التاج في سيرة أنوشروان: ذكره ابن النديم بهذا الاسم[32]

والمقصود به كسرى أنوشروان: وهو كتاب تاريخي في سيرة الملك كسرى؛ ولذا تضمن ما يتعلق بشؤون الحكم، وتدابير السياسة ووضح بعض أنظمة القضاء في عهده، وما جرى من فنون الحرب ونظامها.

(31) انظر تاريخ الأدب العربي (بروكامان) 3/ 98 ومنه استقى صاحب ابن المقفع 170- 172 ولا يوجد في عيون الأخبار لكتاب (تنسر) ذكر.
(32) الفهرست 172.

obeikandi.com

نقل عنه ابن قتيبة وسماه بالتاج[33]؛ وليس هو كتاب التاج المنسوب للجاحظ (محمد ابن الحارس التغلبي) وليس الجاحظ المشهور؛ وقدمه هدية إلى الوزير (الفتح بن خانقان)، ولا هو كتاب (التاج والديباج) المعروف لأبي عبيدة معمر بن المثنى.[34] ولا زال الكتاب مفقوداً حتى الساعة، ولكن الإشارات التي وصلت إلينا تؤكد أنه كتاب تاريخي ليس فيه شيء ذي بال من العقائد، ولو دار حول شخصية مشهورة من أكاسرة الفرس كما يستدل من نقول ابن قتيبة عنه في (عيون الأحبار).

ج - كتاب (مزدك): نسبه ابن النديم لابن المقفع[35] وهو كتاب مفقود لا يعرف منه إلا اسمه هذا، أما مضمونه فلا أحد قادر على إدراكه وقد قيل: إن هذا الكتاب كان من صنيع أبان بن عبد الحميد اللاحقي، ونظمه نظماً كما نظم أبان (لكليلة ودمنة)[36] وكذلك فقد كتاب (أبان اللاحقي) ونرجح أن هذا الكلام لا صحة له؛ لأن ابن النديم ذكر نظم أبان لكليلة ودمنة ولم يشر عن قريب أو بعيد إلى نظمه لكتاب (مزدك).

ويرى (نولدكه) فيما نقله عنه (براون) في كتاب (تاريخ الأدب الفارسي) أنه كتاب أدب وضع للتسلية، ويعتبر بمصاف (كليلة ودمنة) ولا تضر قراءته

(33) انظر عيون الأخبار 1/ 5 و 11 و 15 و 27 و 45 و 59 و 96. وتاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 97.
(34) انظر ابن المقفع 150- 152.
(35) انظر الفهرست 172، وظهر مزدك أيام قباذ في فارس نحو(487م) ولما رأى الشر يقع – غالباً بسبب المال والنساء؛ لذلك أباحهما وجعلهما مشاعاً، انظر الملل والنحل 117 – وفجر الإسلام 109.
(36) انظر تاريخ الأدب العربي 3 / 97- 98 وابن المقفع 152 وانظر حاشية 67 من الفصل الثالث.

obeikandi.com

مسلماً.[37]

ثم يعقب على ذلك كله الدكتور عبد اللطيف حمزة فيقول: لست أدري - في الحق - كيف قال هذان العالمان الكبيران ذلك؛ وإلى أي شيء استندا في هذا القول؛ والكتاب نفسه مفقود.[38]

وحين احترز الرجل احترازاً علمياً صحيحاً رأيناه يجري في طلق آخر أبعد منهما مرمى فيقول: (وغاية القول عندي في هذا الكتاب أن اسمه قد يدل عليه) ثم طفق يتخيل في ضوء هذا العنوان أشياء يبديها له الظن من البحث المظني عند الرجل عن الدين الحقيقي. ومن أغرب ما قاله فيه: ومن يدري لعله ابتدأ بالإسلام وهو دين الدولة فعرضه على عقله وكتب في فضائله؟ ثم نظر في المزدكية وهي دين آبائه وأجداده فكتب مثل هذا الكتاب[39]، في إطار مفهوم (حرية الإرادة).

وعلى الرغم من هذا الافتراض التخيلي؛ فلعله أقرب الأشياء إلى المنطق؛ لأن ابن المقفع كان يستعرض حقيقة الأديان ديناً ديناً في إطار تأريخ إنساني لها، ولم يكن تأريخه بدافع آخر، كما نعتقد. والمهم لدينا أن الكتاب نسب إلى ابن المقفع وانفرد بهذه النسبة ابن النديم؛ ولا يعرف منه إلا الاسم. ولهذا نرفض تهيؤات الدكتور حمزة الأخرى لهذا الكتاب، إذ لم يكن أكثر من كتاب في سيرة (مزدك). ولماذا لا يكون موضوعاً في سيرة هذا الرجل وبيان آرائه الدينية التي جاء بها وهو معدود في المشهورين، وقد رأينا لبن المقفع ولعاً بالسير

(37) رسالة ابن المقفع (خليل مردم بك) 61.
(38) ابن المقفع 152.
(39) ابن المقفع 153.

obeikandl.com

وشؤون الحكم، ولا يريد أن يترك شيئاً مما يعرفه إلا رغب في نقله إلى العربية، بما فيه سيرة (مزدك)؟؟ ولماذا يتهم ابن المقفع في دينه حينما يترجم مثل هذه السير لرجالات الفرس ولم يكن قد أسلم؟ ونؤكد مرة أخرى أن الرجل كان مؤرخاً في مثل هذه الكتب أكثر من أي شيئاً آخر.

ح - الدرة اليتيمة، أو اليتيمة في الرسائل: اليتيمة في الرسائل هو العنوان الوارد في الفهرست[40] في الوقت الذي أورد كتاباً آخر وهو (الأدب الكبير). ويقصد بهذا ما هو معروف الآن باسم (الأدب الكبير) مما يعني أن (اليتيمة في الرسائل) ليس في (الأدب الكبير) ولا هو جزء منه.[41] أما الأصمعي فقد سماه (الدرة اليتيمة) وقال: صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها (الدرة اليتيمة) التي لم يصنف في فنها مثلها.[42] وهي بهذا الاسم عند الباقلاني - وإن سماها أبو تماموالثعالبي والحصري باليتيمة - ثم أوضح الباقلاني أنها تتضمن موضوعات ليست من مضمون كتاب (الأدب الكبير)؛ فقال: وقد ادعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن؛ وإنما فزعوا إلى (الدرة اليتيمة). وهما كتابان أحدهما: يتضمن حكماً منقولة توجد عند حكماء كل أمة مذكورة بالفضل. فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى، والآخر: في شيء من الديانات وقد تهوس فيه مما لا يخفى على

(40) الفهرست 172.
(41) وذلك ما ذهب إليه بعض الباحثين؛ انظر مثلاً: تاريخ آداب اللغة العربية 1/ 440؛ ورسائل البلغاء 117 وتاريخ الأدب العربي(فروخ) 2/ 58 فيما نقله عن شكيب أرسلان؛ انظر حاشية (97) مما يأتي.
(42) وفيات الأعيان 2/ 151.

obeikandl.com

متأمل. وكتابه الذي بيناه في الحكم منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة[43].

فمن المؤكد أن الباقلاني المتوفى (402هـ) قد نظر في الكتاب وعرف ما يحتوي عليه، مما جعله يرده إلى الأصل المنقول عنه، وكلاهما متداول بين أيدي الناس إلى زمن الباقلاني. لهذا نرجح أن (الدرة اليتيمة) هو الرسالة التي رد عليها القاسم بن ابراهيم (ت 246هـ/ 860م) ونعته بالزندقة.[44] ورجح حاجي خليفة أن يكون اسمه الدرة اليتيمة والجوهرة الثمينة لعبد الله بن المقفع الأديب. وهو كتاب لم يصنف في فنه مثله. لخصه بعض المتصوفة (لابن عربي) وسماه: (عظة الألباب وذخيرة الكتاب). وهو مرتب على اثني عشر فصلاً. ويشتمل على الحقائق والمعاني، وأخبار السادة الصالحين، ولها مختصر آخر يسمى باليتيمة[45].

ولم يذكر من اختصر هذا الكتاب، وسماه بهذا الاسم (اليتيمة) ولكنه يوضح لنا أن كتاب (الذرة اليتيمة) مؤلف من اثني عشر فصلاً؛ ويعالج جملة من المعاني والحقائق التي حدت بابن عربي إلى تلخيصه في الكتاب الذي أشير إليه، فضلاً عن أخبار السادة والصالحين الذين ينشغل بهم المتصوفة. وهي موضوعات ليست من موضوعات (الأدب الكبير) في شيء، فهو يتناول السلطان والصداقة، مما يعني أنهما ليسا كتاباً واحداً كما ظن بعض القوم.[46] فمضمون الدرة اليتيمة وقع فيه كلام على السادة والحقائق؛

(43) إعجاز القرآن 46/1 وانظر ديوان أبي تمام 39- 40 وثمار القلوب 199- 200 وزهر الآداب 1/ 246.
(44) تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 101 وانظر حاشية 51- 52 من الفصل الثالث.
(45) كشف الظنون 3/ 213 وانظر حاشية 73 من الفصل الثالث.
(46) انظر تاريخ آداب اللغة العربية 1/ 440- 441.

obeikandi.com

والديانات القديمة. ومن هنا زعم بعض القوم أن فيه كلاماً يعارض القرآن الكريم، ولما قرأه الباقلاني قال: وكتابه الذي بيناه في الحكم منسوخ من كتاب بزر جمهر في الحكمة. صنع له في ذلك؟ وأي فضيلة حازها فيما جاء به وبعد؛ فليس يوجد كتاب يدعي فيه مدعٍ أنه عارض فيه القرآن[47].

وقد ناقش بروكلمان أحمد أمين في شأن الكتاب[48] فإذا كان الكتاب مفقوداً فإن هناك من نقل عنه إشارات تدل عليه مثل (القاسم بن ابراهيم؛ والباقلاني، وابن عربي، وحاجي خليفة؛ وقبلهم جميعاً الأصمعي). وبهذا كله فكتاب (الدرة اليتيمة). والذي سماه ابن النديم (اليتيمة في الرسائل) و (اليتيمة)[49] ترجمة عن كتاب فارسية؛ ولا علاقة له بالأدب الكبير؛ وكذلك لا علاقة له بالرسالة الأخرى التي أطلق عليها (رسالة اليتيمة). فهذه الرسالة مثبتة في كتاب (المنظوم والمنثور) لابن طيفور ونقلها أحمد زكي صفوت في (جمهرة رسائل العرب).[50] وقد قابلت ما وصل إلينا من (الدرة) وبين (اليتيمة) فلم أجد شبهاً بينهما؛ مما يدل على أنهما رسالتان مختلفتان، ولعل ما قرأه ابن قتيبة يكون نصاً من الدرة اليتيمة التي أوضحنا هيئتها سابقاً، وكذلك وجدناه عند الثعالبي والحصري[51].

وبناءً على ذلك كله نرى أن كتاب (الدرة اليتيمة) ليس هو الأدب الكبير، ولا هو رسالة اليتيمة؛ ونرجح أن يكون هوما سماه ابن النديم (اليتيمة في

(47) إعجاز القرآن 1/ 46 وانظر ضحى الإسلام 1/ 199- 100 وتاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 101.
(48) الفهرست 172 و 183.
(49) الفهرست 172 و 183.
(50) انظر المنظوم والمنثور 12/ 160 وجمهرة رسائل العرب 2/ 48- 52 وانظر ابن المقفع 146.
(51) انظر عيون الأخبار 1/ 3- 5 وثمار القلوب 199- 200 وزهر الآداب 1/ 246.

obeikandl.com

الرسائل).

أما رسالة اليتيمة فهي ليست من الأدب الكبير، ولا الصغير في شيء، ولعل رأي حاجي خليفة - في هذا الشأن - أصح الآراء، فهي خلاصة للدرة اليتيمة كثر فيها التصرف، ولعل هذه الرسالة هي التي جعلت أبا تمام يصف ابن المقفع بالبلاغة والحكمة[52].

وقد كشف بعض الباحثين وقوع سبب الوهم في اختلاط التسمية بين كتاب (الدرة التيمة) و (الأدب الكبير)؛ وأرجعه إلى ابن أبي أصيبعة في كتابه (طبقات الأطباء) ونقل عنه قوله: (ولابن المقفع أيضاً تواليف حسان؛ منها رسالته في الأدب والسياسة؛ ومنها رسالته المعروفة في اليتيمة في طاعة السلطان).[53]

ونرى أن العبارة ليس فيها لبس، لأن لفظ (منها ومنها) واضحة الدلالة في التمييز بين السابق واللاحق، ولكننا نقول: لعل الوهم وحده هو الذي خلق الاختلاط بينهما. فكتاب (الدرة اليتيمة) مفقود؛ ورسالة اليتيمة التي وصلت إلينا عن طريق ابن طيفور لا تشابه القطع التي حفظها بعض القدماء لنا من الدرة» وكلها تختلف عن الأدب الكبير والأدب الصغير، وكلها لا يثبت من قريب أو بعيد شيئاً من الفكر الإلحادي الذي وصم به ابن المقفع حتى يتهم بالزندقة. ولا شيء أدل على هذا من أن الباقلاني كذّب تخرص المدعين عليه ذلك، ثم ذهب أكثر من ذلك إذ تابع بلغة صريحة واضحة وصف الكتاب

(52) انظر شرح ديوان أبي تمام 1/ 3- 5 وثمار القلوب 199- 200 وزهر الآداب 1/ 246.
(53) ابن المقفع 146- 147 عن طبقات الأطباء؛ وانظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 98.

obeikandl.com

فقال: (بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ثم مزق ما جمع، واستحيا لنفسه من إظهاره. فإن كان كذلك فقد أصاب وأبصر القصد، ولا يمتنع أن يشتبه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده ويتبين له أمره؛ وينكشف له عجزه ولو كان بقي على اشتباه الحال عليه لم يخفَ علينا موضع غفلته ولم يشتبه لدينا وجه شبهته).[54]

إن كلام الباقلاني يوضح ذاته، ولا حاجة للتعليق عليه؛ وهومن عرف بالتقى والورع والتشدد في دين الله، فهو يعرض للكتاب ويقرئه ويفند آراء من تخرص على ابن المقفع بالشك والإلحاد.

ويبين لنا بجلاء أن ابن المقفع لم يكن مترجماً لكتاب من الآثار الفارسية، وكذلك كان أمره في كتاب (مزدك) إن صح أنه له؛ وفي غيره من الكتب.

وإن كان ابن المقفع قد أكثر من ترجمة الآثار الأجنبية في عهد أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور وكان من طبيعة هذه الترجمات أن تزيد من ثورة اللغة العربية، وثقافتها، وأن تفتح العقل العربي على الآخر؛ والعكس صحيح[55]. ونقول: الجو الفكري وليس الجو السياسي؛ وكأن السفاح وأخاه أرادا للناس أن ينشغلوا بقضايا الفكر لا قضايا السياسة.

وليس هنا مجال للحديث عن زندقة ابن المقفع، أو تعصبه لأجداده من الفرس؛ ولكن آثاره التي ذكرناها فرضت علينا هذه الإشارة، لأننا نعتقد بأن ابن المقفع كان في صدد وضع تاريخ للبشرية كلها، ولم يكن بين يديه إلا ما

(54) إعجاز القرآن 1/ 46- 47 وانظر حاشية (55- 56 و 70- 72) من الفصل الثالث.
(55) انظر من حديث الشعر والنثر 38.

obeikandl.com

أخذه من الفارسية أو تلك التي ترجم إليها. وهو حين يفعل هذا كله إنما يستمد من التاريخ عبره، ويستوعب حركته من أجل إحداث التغيير في الواقع الذي يراه.

ولا شيء أدل على مشروعه في إعادة كتابة التاريخ البشري من كتابه الآخر المفقود وهو كتاب (توزيع الدنيا)، ولعله من أقدم الكتب التي ألفها أو ترجمها. ويؤكده ما فعله من بعده الفردوسي في (الشاهنامه) وقد اعتمد على كتب ابن المقفع خاصة.

خ - كتاب توزيع الدنيا: هذا كتاب آخر ذكره بروكلمان[56] ثم عبد اللطيف حمزة من دون الإشارة إليه؛ واسم الكتاب موجود في كتاب (زين الأخبار) للكاتب الكارديزي. وقد وجد حمزة في كتاب (البدء والتاريخ؛ لأبي زايد أحمد بن سهل البلخي) ذكراً موجزاً له كما يبدو من قوله: (وعيوناً جارية؛ وأنهاراً مطردة. ثم صارت بعد ذلك بحراً طافياً؛ تجري فيه السفن؛ ثم صارت قفراً يابساً؛ ولا يدري كيف اختلف عليها الأحوال، ولا لم اختلف إلا الله تعالى).[57]

وفي ضوء ما تقدم لابد للمرء أن ينطق بالحق والصواب وقد وهبه الله أذناً واعية وعقلاً يستجيب لهما،فابن المقفع أخذ نفسه بالدرس التاريخي الذي يملكه؛ واعتقد أنه يقدم جملة من الفوائد لمجتمعه وأمته الجديدة لهذا شرع يضع بين

(56) تاريخ الأب العربي 3/ 101 وابن المقفع 156.
(57) انظر ابن المقفع 156 عن البدء والتاريخ (نشرة دورات Huart) 150/2.

obeikandl.com

يديها العديد من ترجماته وهذا ما تؤكده آثاره الباقية التي يعرض بها البحث.

آثاره الموجودة:

قلنا سقط أكثر إنتاج ابن المقفع من يد الزمن؛ ولكن جملة من آثاره العامة صمدت في وجه الأخطار التي أضرت بغيرها، وقد أثبتت هذه الآثار صحة مقولة الراغب الأصبهاني؛ وهي: ابن بطريقة وابن ناعمة وأبو فروة وابن المقفع وأرسطوطاليس وأفلاطون من متقدمي الحكماء، ومستخرجي العلوم»[58] كما أعلنت آثاره أنه لم يكن (في حقيقته عدواً للعرب؛ وللعصبية العربية؛ مخلصاً للفرس وللعصبية الفارسية)؛ كما أن موقفه لم يكن عدائياً للحكومة المركزية القائمة؛ لأن رؤساءها يحتفظون (بشيء من الهوى العربي؛ أو ينتسبون إلى أجداد من العرب؛ والعرب - في رأي هذا الكتاب – قوم لا يستحقون هذا السلطان) وما قاله في توجيه شؤون الدولة إنما كان تابعاً من نزوع إصلاحي صرف، هذا كله مما ذهب إليه بعض الباحثين[59] في ابن المقفع؛ إذ جعله شعوبياً؛ متعصباً لفارس وديانتها المانوية؛ وكارهاً للعرب. ومهما تشعبت الآراء فإن المنهج العلمي يفرض علينا الموضوعية والنزاهة؛ ولو كنا من أشد الناس حباً لانتمائنا؛ فالانتماء الأصيل يعلي من كرامة الإنسان، وينصف الآخر. ولعل الآثار التي تركها ابن المقفع قادرة على إبراز ماهيتها، وتبرئة الرجل من كل ما اتهم به؛ ويعد كتاب (كليلة ودمنة) في طليعتها.

(58) محاضرات الأدباء 96/1.
(59) انظر ابن المقفع 234.

openkandil.com

كليلة ودمنة:

لقيت ترجمة ابن المقفع لهذا الكتاب عناية عظيمة لدى الأمم كلها قديماً وحديثاً؛ فقد خصه الأدباء والدارسون بالترجمة والتحليل والشرح والنظم[60]. ومما يدل على تقدم ترجمة ابن المقفع لهذا الكتاب أن هناك ترجمة أخرى له لعبد الله بن هلال الأهوازي قدمها إلى يحيى بن خالد البرمكي سنة (165هـ) في خلافة المهدي، لم تلق عناية واضحة وكأنها ولدت في ميتة؛ وقبعت في أحضان التاريخ، وإن ارتاب فيها المستشرق دي سياسي.[61]

ويحتاج كتاب (كليلة ودمنة) إلى صفحات كثيرة للإحاطة به؛ وحسبنا - هنا - أن نقف عند أهم قضاياه الفكرية والفنية والتاريخية، إذ أجمع الناس على أنه مترجم على الفهلوية القديمة؛ التي كانت بدورها قد نقلته عن اللغة الهندية في عهد كسرى أنوشران. ويبدو أن الفرس زادوا في أصله زيادات عديدة، كما توضحه المقارنة بينه وبين ما عثر عليه من أصول هندية مثل (بنج تانترا) وتعني النقالات الخمس؛ (وتانترا) تعني (صندوق المعاني الطيبة). وحوى خمسة أبواب (الأسد والثور، والحمامة المطوقة، والبوم والغربان، والقرد والغيلم، والناسك وابن عرس) ومثل كتاب (مهابهارتا) وفيه ثلاثة أبواب (الجرذ والسنور، والملك والطائر فنزة، والأسد وابن آوى)، ومثل كتاب (هوتو بادشا)،والأصل السرياني الذي عثر عليه في دير (ماردين) المنقول عن الفهلوية

(60) انظر مثلاً: تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/93-96 و(فاحوري) 450-452 و (فروح) 2/54- 58 وابن المقفع 182- 235 وضحى الإسلام 1/ 216- 222 وأمراء البيان124- 133،وتاريخ آداب اللغة العربية 1/ 438- 439 والعصر العباسي الأول 520-521 ودراسات في الأدب المقارن 90 و 171 و 185.

(61) انظر تاريخ الآداب في إيران 443 و ابن المقفع وتاريخ الأدب العربي (فاخوري) 449؛ والأمثال في النثر العربي القديم 166- 168.

obeikandl.com

سنة (570م)[62]. وكان الدارسون في ريب من ذلك حتى عثر على هذه الأصول، وفيها متفرقة من عمل ابن المقفع؛ وإن لم تتطابق وعنه ابن قتيبة وغيره جملة من النقول[63].

إذاً؛ اتضح لنا بما لا يقبل الشك أن الأبواب الهندية اثنا عشر باباً؛ والفارسية ثلاثة أبواب؛ وزاد ابن المقفع ستة أبواب؛ فانتهت إلى واحد وعشرين باباً..

أما الأبواب الفارسية فهي (مقدمة بروزية، وباب بعثة بروزية؛ وباب ملك الجرذان) ومن ثم ذهب غير واحد إلى أن الباب الذي سماه (عرض الكتاب) وكل من الأبواب الآتية: (الفحص عن أمر دمنة) و(الناسك والضيف) و (ومالك الحزين والبطة) و (الحمامة والثعلب ومالك الحزين)من زيادات ابن المقفع، والباقي هندي[64].

ومقدمة ابن المقفع (عرض الكتاب) تختلف عن المقدمة التي وضعها بهنود بن سحوان، ويعرف بأبي القاسم علي بن محمد بن الشاه الظاهري (ت 302هـ)[65] كما أن باب (برزويه) موجود في الأصل الفارسي وليس من زيادات ابن المقفع كما رأى البيروني، وأيده عابدين ورأى أن الكتاب كله مترجم عن

(62) انظر على الأصل السرياني في دير (ماردين) سنة (570م9 ونشر سنة (1876م)، انظر ضحى الإسلام1/ 216 وبعد ودراسات في الأدب المقارن 174- 175 وابن المقفع 189- 193 والفن ومذاهبه في النثر 138- 139 وتاريخ الأدب العربي (فاخوري) 447، والأمثال في النثر العربي القديم 166-169 وليس بدقيق ما ذهب إليه صاحب كتاب الأمثال في النثر العربي القديم حين ذهب إلى ترجمة الكتاب عن السريانية (ص169) وليس عن الفهلوية.. أما المهابهارتا (ملحمة الهند الكبرى)فقد أجريت مقابلة بين أفكارها وبعض أفكار كليلة ودمنة فتبين لي وجه الصلة بينهما مثل؛ نصائح إلى المؤدبين 61-62 عنايتهم بأبهة السلطان 65- 110 تحذير أهل العلم من مصاحبة السلطان 111-112 وغير ذلك كثير.

(63) انظر مثلاً عيون الأخبار 168/1 و281 و180/3 ونصيحة الملوك 332و 544.

(64) انظر كليلة ودمنة 21 و 23 وابن المقفع 204 وتاريخ آداب اللغة العربية 438/1- 439.

(65) انظر كليلة ودمنة 7- 20 ووفيات الأعيان 151/2 وضحى الإسلام 1/ 218.

obeikandl.com

السريانية.[66]

وإذا أخذنا بعين النظر أن ترجمة ابن المقفع نفسها قد دخل فيها تغييرات كثيرة على أيدي النساخ؛ فإننا ندرك أن الأصل الكامل، والأصل الفارسي المترجم عنه قد ضاع كل منهما، ولم يبقى إلا ترجمة ابن المقفع. وعنه نقل الكتاب إلى الفارسية وغيرها. ولعل أشهر ترجمة له إلى الفارسية تلك التي أشرف عليها أبو المعاني نصرالله بن عبد الحميد سنة (539هـ/144م).[67]

وكذلك نظم الكتاب شعراً[68] وأول من نظمه أبان بن عبد الحميد اللاحقي (ت 180هـ) ونظمه ابن الهبارية وهو الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة (ت 504هـ/1100م) ولم يذكر فيه باب (الحمامة ومالك الحزين) بينما ذكر باب (إيلاذ) و(هيلاروبيلار) مع الاختلاف في السياق وذلك في كتابه (نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة).

ويدل نظم الكتاب على أهميته وكذلك ترجماته الكثيرة التي سنذكرها، أما التأليف على منواله فقد عرف على نحو بارز، ومن هذا التأليف كتاب (سلوان المطاع في عدوان الطباع) لأبي عبدالله محمود بن أبي قاسم القرشي المعروف بابن ظفر (ت 598هـ). ويظن المستشرق (جولد زيهير) أن اسم (أخوان الصفا) مقتبس من باب (الحمامة المطوقة)[69].

(66) انظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 94/3 والأمثال في النثر العربي القديم 168- 169 وطبقات الأمم 49 و 14 والفن ومذاهبه في النثر 139 وتاريخ آداب اللغة العربية 1/ 439.
(67) انظر تاريخ الأدب في إيران 438 و 443 و 446 وضحى الإسلام 1/ 216 وبعد؛ وتاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 93- 96 وابن المقفع 202.
(68) انظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 96 وحاشية (5).
(69) انظر تاريخ الأدب في إيران 444 ودراسات في الأدب المقارن 174 وتاريخ الأدب العربي (فاخوري) 451، ورأى أن ترجمته حوالي سنة (5130)

obeikandl.com

ونكتفي بهذا التعريف الذي قدمناه للكتاب؛ لنقول: أن ابن المقفع ترجم الكتاب في بداية الدولة العباسية نحو (133هـ/ 750م)،غالباً[70]. فهومن أوائل الكتب التي عني بها قبيل إسلامه سنة(132هـ)ولغته دالة على ذلك.[71] وقد سبق فيه مصنفه الآخر (رسالة الصحابة)، وليس العكس كما ذهب إليه بعض الدارسين[72].وقد جاء الكتاب في أربع مقدمات، وخمسة عشر باباً؛ غير في كثير من معانيها وصورها لتلائم الذوق العربي و الإسلامي، و لتوافق الهدف الذي رمي إليه؛ وهو تنبيه أصحاب الحل والعقد في الخلافة على كيفية حكم الرعية، والتعامل مع الولاة؛ وكيف يتقي بعضهم بعضاً.[73] وقد رمز لغرضه هذا في البند الرابع من أغراضه الأربعة وهي: (أحدهما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من مسارعة أهل الهزل من الشبان على قراءته فتستمال به قلوبهم؛ لأن هذا هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات. والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأطباع والألوان ليكون أنساً لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة على تلك الصور.

والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً.

والغرض الرابع - وهو الأقصى - مخصوص بالفيلسوف خاصة)[74]. والكتاب أسئلة وأجوبة كان يلقيها ملك من ملوك الهند يقال له (دبشليم) على

(70) انظر من حديث النثر والشعر 48.
(71) انظر ضحى الإسلام 1/ 219.
(72) انظر دراسات في الأدب المقارن 175 وابن المقفع 202 و 208.
(73) انظر دراسات في الأدب المقارن 175 وابن المقفع 202 و 208.
(74) كليلة ودمنة 32.

openkandil.com

فيلسوف حكيم يسمى (بيدبا) في كل مرة بحكاية على ألسنة الحيوانات تحمل مغزى ما؛ لا يصرح به على الأغلب. ويقرأ ابن المقفع صراحة (في عرض الكتاب) بأصل الكتاب فيقول: هذا كتاب (كليلة ودمنة)، وهو مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا.

فأول ما ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له؛ والرموز التي رمزت فيه، وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم، وأضافه إلى غيره مفصح. فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدري ما أريد بتلك المعاني ولا أي ثمرة يجتني منها؛ ولا أي نتيجة تحصل له مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب.[75] وهو يعلم أبعاد الرموز التي وضعت على ألسنة البهائم؛ وما توحيه من أفكار في هذا الاتجاه أو ذلك، فقد شغل ذهن ابن المقفع صورة الحاكم المستبد الذي يبطش برعيته دون رحمة، وقد ضيق عليها الخناق، وألهب ظهرها السوط، وماتت قلوبها من الرعب فلم يجرؤ أحد على نقده.

ولهذا ظن في نفسه الخير والصلاح لأنه سد أذنيه عن كل نصيحة وموعظة أياً كانت قيمتها[76]. وفضلاً عن هذا فإن الكتاب يشي بكثير من المفاسد الاجتماعية والسياسية التي تقع في أروقة الدولة والولايات.

ومن هنا كان أدب السلطان اهم موضوع في الكتاب، ويعقبه أدب الصداقة؛ ومن ثم أدب النفس، وهي الموضوعات التي دارت عليها مؤلفات ابن المقفع

([75])المصدر السابق.
(76)انظر ابن المقفع 73.

openkandi.com

كلها؛ وكأن كتاب (كليلة ودمنة) ظل الموجه له والقابض على أفكاره في (الأدب الكبير) و(رسالة الصحابة) خاصة.

ومن يتعقب أبواب الكتاب يمسك بنقد غير صريح للحكم، في الوقت الذي يقدم فيه الكثير من الحكم والمواعظ للسلطان كالحلم والتعقل، وحفظ العهد والوفاء، وحسن والسيرة؛ وحسن تدبير شؤون الحكم واختيار البطانة من الأمناء والشرفاء، وتحصين العدل وتفقد الرعية فالحاكم موضع ثقة الرعية، وصلاحها بصلاحه ويلمس كل قارئ هذا في باب (الأسد والثور) و(الملك والطائر فنزة) و(الأسد وابن آوى والناسك) و(السائح والصائغ). وقبل أن نتوقف عند بعض الايحاءات الفكرية ونشير إلى الموضوعين الآخرين في الصداقة وأدب النفس فقد احتلت الصداقة مكاناً رفيعاً من الكتاب وركز فيها على منافع الصداقة وجمالها وشروطها، وأنواعها؛ وكيفية مساعدة الصديق لصديقه.. والإمارات التي يعرف بها الصديق.. ويعد باب (الحمامة المطوقة) من أبرز الأبواب التي تناولت ذلك.

وحفي كتاب كليلة ودمنة بالأخلاق وتهذيب النفس، وضرورة العقل وأهمية ذلك في الحياة. وفي باب (الأسد والثور) و(باب الفحص عن أمر دمنة) و (البوم والغربان) و (القرد والغيلم) وغير ذلك الكثير من أشكال التأديب في المروءة والصدق، والوفاء، والأمانة، والإخلاص، والتنفير من الحقد والحسد والخيانة والغش والغدر والسرقة، فالكتاب بحق ذو قيمة كبرى في القيم والفضائل وعادات الشعوب القديمة، وفي فلسفتها الفكرية والأخلاقية. وتبقى أهم قيمة يشتمل عليها الكتاب القيمة السياسية التي تتعلق بنظام الحكم وما يجري

obeikandl.com

فيه من فتن ومكائد. فمن يقرأ باب (الأسد والثور) أو باب (البوم والغربان) مثلاً يلحظ أنه يتحدث عن أحوال الدولة وسياستها ويبين أن كل من استقر به الحكم طغى (وبغى، وتجبر وتكبر، وجعل يغزو من حوله من الملوك؛ وكان مع ذلك مؤيداً مظفراً منصوراً، فهابته الرعية. فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة؛ عبث بالرعية واستصغر أمرهم وأساء فيهم، وكان لا يرتقي حاله إلا ازداد عتواً).[77] ومن هنا فنحن لا نشك كما سبقنا إلى هذا الكثيرون؛ في نقد بل استنكار ابن المقفع لأشكال الانحراف في سياسة الحاكم واختياره لبطانة فاسدة لم تقدم للناس إلا شراً وثبوراً. ولا نرتاب في أنه لم يصرح به؛ ولكن ترميزه كان شديد الإيحاء بمضمونه، فإذا كانت الحيوانات تمقت الظلم والقهر والقتل، والخيانة، والغدر؛ والفجور، وتسعى إلى العدل والإنصاف، وتزداد بالمشورة رأياً وعقلاً، وحكمة وقوة، فإن الإنسان، ولا سيما إذا كان ملكاً مطاعاً، أولى منها بهذا العدل والرفق بالرعية، والتخلص من أهل الفساد الذين يعبثون بمقدرات البلاد؛ ويهتكون شرف العباد. فالكتاب - في الأصل - مثقل بالرموز الكثيرة التي تفضح أساليب الحاكم في النيل من خصومه؛ ومن ثم بغيه في الرعية؛ وإيقاع الهلاك على أبرياء أخذوا بظنه الحاكم أو أزلامه، ثم استطاع ابن المقفع أن يحمله كثيراً من الأبعاد السياسية التي حدثت في عهده. فما أشبه حال الخليفة بحال الملك (دبشليم) وما أشبه حال ابن المقفع بحال (بيدبا) كل منهما يريد تقديم النصيحة للحاكم الظالم الغاشم ورده إلى الحق والعدل والعطف على الرعية، وأن يعمل عقله في خير الدولة والناس. ولذلك نرى أن ابن المقفع لم يكن سياسياً بارعاً في

(77) ضحى الإسلام 1/ 218.

openkandil.com

اصطناع الحيلة والترميز في اختياره لقصة (كليلة ودمنة) من خزانة ثقافته وجعلها وسيلة لإبراز هدفه؛ ولم يكن حصيفاً في عقله كما كان عليه في كتابته لرسالة الصحابة - ولعل عدم حصافته تلك ترجع إلى حماسة الشباب، وإلى قلة الخبرة بالخلفاء والملوك - ولكنه في الوقت نفسه لم يكن ساذجاً في تخيره لهذا الكتاب؛ فقد دل فيه على وعي سياسي ناضج بأهمية إصلاح شؤون الحاكم والحكم وتوجيه أمرهما إلى ما فيه خير البلاد والعباد.

فهو يسعى جاهداً إلى إصلاح نظام الدولة، ولهذا ستظل أفكار هذا الكتاب موجهة لعقل ابن المقفع ومؤلفاته من بعد؛ مما يجعله يثير في النفس أمرين: الأول أن ابن المقفع يعنيه كل ما يقع على الناس - من مظالم وقتل وتشريد وخوف ورعب.. ولم يكن يملك إلا قلمه؛ وحماية سليمان بن علي وإخوته، فاختار كتاب (كليلة ودمنة) ليعبر عما يدور في خلده، وعما يرمي إليه من مقاصد، فهو بكل تأكيد يريد إصلاح نظام الحكم لا مهاجمته ولا يرغب النيل من الخليفة؛ وإن جرح بطانته؛ إنه يرغب في تنبيهه على ما يجري من أحداث، ولكنه يخشى على نفسه؛ فيما لو صرح بمراده؛ ومن هنا عمد إلى الترميز لهذا الكتاب بما فيه الأبواب التي أضافها إلى الأصل[78]. هذا هو المراد من الكتاب فالرجل ترجم الكتاب، وصنع فيه ما صنع ليس بداعي التهكم بالعرب وبسلطانهم، وكيف يستقيم هذا وهو يعيش في حمايتهم؛ وخيره من فضل أيادي بعض عمومة الخليفة؟! وقد اختار قصة من أصل هندي، لا علاقة لفارس بها إلا أنهم كانوا نقلة لها من أصولها وهذا الاختيار يبعد عنه أي

(78) انظر ضحى الإسلام 1/ 219.

عصبية لأي جنس إلا العصبية للحق، والتبصير بالمفاسد والمظالم. ويبدو أن الرموز التي حملها الكتاب قد وصلت إلى أبي جعفر المنصور وكان آنذاك والياً على فارس وأذربيجان وأرمينية، وربما أغاظه لما يشتمل عليه من أفكار في توجيه الرعية وتبصيرها بحقوقها؛ والمطالبة بتحقيق العدل؛ ومعرفة الظالم والفاسد؛ وتمييزها من العادل والصالح[79]. وإن لم يكن هناك دليل صريح على ذلك، وهل يأخذ الحاكم بما يرويه رجل على ألسنة البهائم؟.! هذا رأي لا غبار عليه أبداً؛ لكن المرء يضيف إليه أن الكتاب لا يتضمن أي قدح في أي شخص أو حاكم بعينه؛ ولكن السلطان يأخذ دائماً بالأحوط. لهذا ربما داخله شيء من الريبة في الرجل، ولعل هذا الكتاب كان بداية للتنافر في النفوس، دون أن يظهر بشكل جلي.

أما الأمر الثاني فهو يوضح أن كتاب (كليلة ودمنة) ترجم نحو سنة (133هـ/ 750م) إن لم يكن قبلها؛ ولم يقدمه لأبي جعفر المنصور؛ ولا لأبي العباس السفاح بشكل مباشر، أنه موجه للحاكم الذي تحمل أمانة الحكم، وامتلك أعناق العباد، وتقلد أرجاء البلاد. فلابد له من العدل والرحمة وتدبير شؤون الحكم على خير وجه في الداخل والخارج. ومن ثم فالنقد الموجود في الكتاب - و إن تركز على الحاكم وبطانته - فهو نقد عام وكأنه لم يقصد أحداً؛ لأن الرجل يشرح المرض أو الداء ويتبعه بالدواء والعلاج. لهذا ليس فيه إلا وجه الإصلاح للدولة التي يرغب في أن تصبح أنموذج خير؛ بدل أن تعيش في فوضى وفساد.

(79) انظر ضحى الإسلام 1/ 219- 220.

obeikandl.com

وهذا يشجعنا على القول: لقد استطاع ابن المقفع أن يكون سابقاً لزمانه حين وضع نفسه بين حضارتين قديمة زائلة؛ أخذ منها العبر وبين حضارة جديدة ناهضة يقدم لها النصيحة والموعظة في ضوء ثقافته الموروثة من تلك الحضارة.

فقد أعطى حضارته الجديدة جملة من الأفكار، والنصائح فيما لو عملت بها لتقدمت وتخلصت من أشياء تشين مسيرتها.. فكتاب كليلة ودمنة لم يكن هدفه السلطان وحده؛ وإنما كان مرماه الحضارة كلها وليس السلطان إلا وجهاً واحداً لها، على أهميته...فهو يقصد إلى نشر المحامد والفضائل أينما كانت، وتجنب المساوئ والتخلص من المظالم والمفاسد أينما وقعت. وبعد فإني أكتفي بهذه الإضاءات ولا يستطيع المقام أن ينهض بكل ما يوحي به كتاب (كليلة ودمنة)؛فهو كتاب حكمة وأمثال، وأدب وأخلاق؛ وكتاب تاريخ وسياسة واجتماع؛ وكتاب يصدق فيه أن يكون رواية أو مسرحية؛ أو نصاً أدبياً فنياً مبدعاً.. يقدم أفكاره بأسلوب شائق جذاب يجمع بين الخرافة والحقيقة بلغة سهلة واضحة وجميلة ومثيرة.

إنه فتح مبين في قصص الحيوان الرمزية الطويلة[80] وهي تختلف - من غير تردد - عن الحكايا الخرافية التي قدمها لنا الشعر القديم، أو عرفتها الأمم الأخرى.

فكتاب (كليلة ودمنة) يعد أبقى أثر تركه ابن المقفع للبشرية، سواء اتهمه الدكتور طه حسين بضعف التراكيب فيه[81] أم دافع عنه أحمد أمين وغيره،

(80) انظر مثلاً: تاريخ الأدب العربي (بلاشير) 922 و 944 و(فاخوري) 457 ودراسات في الأدب المقارن 167 وبعد.
(81) انظر من حديث الشعر والنثر 48.

obeikandi.com

وجعلوه أحد أقطاب العربية؛ والمجدد في أساليبها[82]. فهذا الكتاب يظل علماً على ابن المقفع، وابن المقفع علماً عليه[83]، ويظل عندنا الشاهد الأهم على وجود الحرية الفكرية في عهده؛ وإن رأى أن الحرية السياسية غير موجودة. لهذا شدد على إصلاح النظام السياسي، علماً أنه ينسب الفساد إلى عمال الخليفة ومن يستعين بهم في تنفيذ شؤون الحكم؛ ولا ينسبه إلى الخليفة. ومما يدل على أهمية هذا الكتاب أنه ترجم عن النسخة العربية إلى لغات عالمية كثيرة؛ إذ ترجم إلى السريانية الحديثة في القرن العاشر أو الحادي عشر ومنها نقل إلى الإنكليزية سنة (1880م)، وترجم إلى اليونانية سنة (1080م) ومنها نقل إلى الإيطالية (1583م) والسلوفينية؛ وترجم إلى الفارسية في القرن السادس الهجري وإلى العبرية واللاتينية القديمة، والإسبانية الحديثة في القرن الثالث عشر؛ ثم ترجم من العبرية بترجمة (يوحنا 1270م) إلى الألمانية (1480م) وإلى الإسبانية الحديثة (1493م) وإلى الإيطالية (1552م) ،كما ترجم من الألمانية إلى الدنماركية والهولندية، ومن الإيطالية إلى الإنكليزية (1570م) ومن الإسبانية الحديثة إلى الإيطالية (1548م) كما ذكر الدكتور عبد الوهاب عزام في مقدمته في طباعة الكتاب في مطبعة دار المعارف، وعنه نقل فاخوري في تاريخه للأدب العربي، وله ترجمة إلى التركية في مطلع القرن السادس عشر، وإلى الفرنسية (1778م) وإلى الروسية (1889م)وغير ذلك من اللغات[84].

(82) انظر مثلاً: ضحى الإسلام 1/ 197- 198 وتاريخ الأدب العربي للزيات 203- 204 و214. وفي القديم جعل ابن النديم كليلة ودمنة واليتيمة من الكتب المعدودة في الجودة عند الناس، انظر الفهرست 183.
(83) انظر دراسات في الأدب المقارن 181.
(84) انظر تاريخ الأدب العربي(فاخوري) 451 وابن المقفع 188.

obeikandl.com

الأدب الصغير والأدب الكبير:

قبل أن نوجز الحديث عن الكتابين يفرض علينا المنهج العلمي أن نبين معنى كلمة (أدب) وكلمة (الصغير - الكبير) فيما جاء في العنوان لكل منهما، لأنه ما من باحث تناول كلمة (أدب) إلا ذكر كتابي ابن المقفع. وليس المجال هنا موضوعاً لاستقصاء معاني الكلمة؛ ولهذا نبين أن الجاهلين استعملوها في معنى الدعوة إلى الطعام، بينما استعملت في العصر الإسلامي بمعنى تهذيب النفس، وإقامتها على جادة الأخلاق والحق، وعلى هذا المعنى جاء الحديث الشريف: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[85]، ومثله ورد في قول أم ثواب وهي امرأة من هزان أنشدت شعراً في ابن لها في عقها:[86]

أنـشـأ يمـزق أثوابـي يؤدبنـي أبعد شيبي يبغي عندي الأدبا؟!

ولهذا ارتبطت بالحديث، والمجلس، من جهة الخلق؛ فقيل: أدب الحديث، وأدب المجلس.

أما ابن المقفع فكان أول من جعلها عنوانين لمؤلفين له؛ وهو الذي أخذ نفسه بالتهذيب الخلقي قولاً وفعلاً حتى صار علماً عليه. (قال الأصمعي: قيل لابن المقفع: من أدبك فقال: نفسي).[87] وكان يعني بالكلمة تهذيب النفس على الخلق النبيل والفضيلة والمروءة، وهو المعنى المعروف والشائع حتى عصره، وإن توسع المعنى فيما بعد ليصبح معرفة الأشعار والأنساب والأيام والأخبار.

(85) الجامع الصغير (42/1 حديث رقم 310) وانظر اللسان (أدب) وأدب الكاتب 162-163.
(86) شرح ديوان حماسة أبي تمام للتبريزي (1/ 316 طبعة النوري) و (2/ 133- 134 طبعة عالم الكتاب).
(87) وفيات الأعيان 2/ 151.

obeikandl.com

وغير ذلك كما نجده في عنوان كتاب لابن قتيبة (ت 276هـ) وهو (أدب الكتاب)؛ إذ أصبح معنى الأدب (الأخذ من كل علم بطرف)[88]. فمعنى كلمة (أدب) عند ابن المقفع في الكتابين هو معنى تهذيب النفس وتربيتها على الفضيلة، ولهذا جعل مضمونها يعبر عن عنوانهما. أما كلمة (الصغير) و(الكبير) فليست وصفاً لكلمة (الأدب) كما ذهب إليه بعض الباحثين [89]؛ لأنه يستحيل في العقل والمنطق وجود خلق صغير، وآخر كبير؛ أو تهذيب صغير. والرأي ما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين - رحمه الله -إذ قال: (كلمة الصغير والكبير وصف للكتاب. وقد شاع استخدام هذا التعبير في ذلك العصر؛ فقالوا كتاب الطبقات الكبير لابن سعد؛ وأحياناً يحذفون كلمة (كتاب) ويبقون الوصف فيقولون: (السير الكبير، والسير الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني) ومن هذا؛ الأدب الصغير والأدب الكبير. فليس الصغير والكبير وصفين للأدب، ولكن للكتاب المفهوم ضمناً[90] (أما ابن النديم فقد حل المشكلة ولم يحذف وسماهما (كتاب الأدب الكبير) و(كتاب الأدب الصغير)[91] والصغير في ثلاثين ورقة بينما الكبير في نحو مائة ورقة؛ علماً أن نسبة الفرق في حجمهما تتفاوت بين الطبعات. ونذكر هنا بما سبقت الإشارة إليه من أن الأدب الكبير ليس هو الدرة اليتيمة أو رسالة اليتيمة التي ذكرها التي ذكرها أحمد زكي صفوت باشا؛ ونقلها عن المنظوم والمنثور لابن طيفور، وكذلك ليس الأدب الصغير هو اليتيمة الصغيرة اليتيمة الملخصة عن الدرة

(88) انظر مقدمة ابن قتيبة لأدب الكتاب 5 وبعد و 14و 16 وبعد.
(89) انظر ابن المقفع 159.
(90) ضحى الإسلام 1/ 199 وانظر تاريخ الأدب العربي (فروخ) 1/ 53.
(91) الفهرست 172.

Openkandil.com

اليتيمة[92]. ومن هنا نبدأ بحديث موجز عن الكتابين لنتوقف عند قراءة لأبعادهما الفكرية، و الأدبية..

الأدب الصغير:

كتيب موجه للعامة قبل الخاصة لا يزيد حجمه على ثلاثين صفحة، في بعض الطبعات وهو في نحو خمسين صفحة في الطبعة التي اعتمدنا عليها من (صفحة: 15)إلى (صفحة: 66)[93].

إنه رسالة صغيرة في الوصايا الخلقية، والحكم التي تستوفي نصائح عديدة من دون تحليل للنفس والخلق، لأنها مجموعة من الآراء المنتزعة من هنا وهناك من أقوال السابقين. وهي تمثل تجارب صيغت بإيجاز شديد و محكم؛ فضلاً عن الخطرات الفكرية الذاتية لابن المقفع، والتي تم تأليفها بكلمات رشيقة وسديدة خلت من القصص والأمثال[94].

ويتضح لكل ناظر إليه أنه ينقسم إلى مقدمة ومتن؛ فقد ذكر في المقدمة حاجة العقل إلى الأدب، وأثر الأدب في تنمية العقل، ويفيد العقل في ستة أشياء:

1 - إيثار الأدب بالمحبة على كل شيء
2 - المبالغة في طلب الأدب بدافع الإيثار.
3 - التثبت من تخير الأدب.

(92) انظر المنظوم والمنثور 12/ 160 وجمهرة رسائل العرب 3/ 48.
(93) ذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي 3/ 99- 100 عدداً ممن عني بكتاب الأدب الصغير: عني به للمرة الأولى الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس؛ ثم نشره أحمد زكي صفوت باشا سنة 1329هـ/ 1911م؛ ثم نشره محمد كرد علي في رسائل البلغاء (1326هـ/ 1908م) ثم نشر ثلاث مرات. وكذلك عني به محمد أمين ونشره بمصر 1332 هـ/ 1913 م)
(94) انظر تاريخ آدب اللغة العربية 1/ 440 وتاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 99.

obeikandl.com

4 - الثقة بالنفع والخير العائد من الأدب.

5 - حفظ الأدب ومدارسته، لأن الإنسان مطبوع على النسيان.

6 - وضع الأدب في الموضع اللائق به.

ومن ثم يبين مصادره التي اعتمد عليها في تأليف الكتاب، وكأنه جمع فيها بين النقل أو الترجمة وبين الإبداع الذاتي..

وبعد أن عقد تأليفه بمشيئة الله بدأ بعرض حكمه ونصائحه وانطلق فيها من الفرد العاقل والعارف، فلينظر أين يضع نفسه، وليعرف جماع الصواب والخطأ[95]..

ويبدو أن خاتمه الكتيب أو الرسالة كانت مناسبة للابتداء، إذ (لا يزال الرجل مستمراً ما لم يعثر)[96]. هذا الكتاب لم يختلف فيه أغلب الدارسين؛ وإن قيل أنه سمي باسم (اليتيمة)؛ فالقدماء والمحدثون سموه بالأدب الصغير؛ لكن بروكلمان يرى أنه (ربما كان مختصراً من كتاب الأدب الكبير الذي يمكن أن تكون مأخوذة منه نقول ابن قتيبة التي لا توجد الأدب الصغير). ثم يقول ليس له ترتيب خاص؛ بل هو يتكئ بقوة على كتاب كليلة ودمنة في حكمته الخالصة؛ ويدعو إلى اتباع السنة والتمسك بآثار السلف)؛ ثم يرجح نحله على الرجل[97].

(95) انظر الأدب الصغير 20-21.
(96) الأدب الصغير 65.
(97) تاريخ الأدب العربي3/ 99-100

obeikandl.com

الأدب الكبير

كتيب صغير عرفه القدماء والمحدثون باسمه هذا[98] غالباً؛ وإن عرف بغيره فقد أطلق عليه ابن النديم وبروكلمان اسم (كتاب الأدب الكبير).[99] بينما كان ابن قتيبة يطلق اسم (الآداب)عليه من دون (الكبيرة) فيقول: (قرأت في آداب ابن المقفع) كما زعم عليه بعض المحدثين[100].

وإذا كنا قد أشرنا سابقاً إلى الالتباس بينه وبين (الدرة اليتيمة) أو (اليتيمة في الرسائل) حتى أخذ اسمها؛ عند بعض الدارسين فإن ابن النديم أطلق عليه اسم (ما قرا حسيس).[101] ويرى الأستاذان (هوفمان وجوستي) أن اسمه محرف عن (مه فراجو شناس). و(ينبغي أن تكون (مه) بمعنى عظيم أو كبير، (فراج) بمعنى سمو أو علو، (شناس) بمعنى الشرح أو الفهم)[102]. وبذلك لقي الكتاب عناية الدارسين قديماً وحديثاً، في جانبه الفكري والأدبي، ولسنا نشك لحظة في أن الكتاب ترجمة عن الآثار الفارسية غالباً؛ ولكنه ليس من آثر واحد؛ وإن غلب عليه النقل من وصايا (أردشير إلى ولي العهد) وهذه الوصايا المثبتة في كتاب أردشير شغلت حيزاً من الجزء الأول يبلغ مائة وثماني وعشرين صفحة في كتاب (تجارب الأمم) لابن مسكويه[103].

ولما كان عمل ابن المقفع قائم على النقل غير الحرفي، والاستناد إلى عدد غير

(98) ذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي 3/ 98 بعض من عني بالكتاب؛ مثل – طبع في لبنان ومصر عدة طبعات تحت عنوان (الدر اليتيمة). أ- في لبنان سنة 1897م؛ ثم طبعه جرجي شاهين عطية. ب- في مصر- طبع في القاهرة مصدراً بمقدمة للأمير شكيب أرسلان.
(99) انظر الفهرست 172 وتاريخ الأدب العربي 3/ 98.
(100) عيون الأخبار 1/ 20 و22 و 31 وانظر ابن المقفع 144.
(101) الفهرست 172.
(102) ابن المقفع 166: انظر الحاشية (1)
(103) انظر ابن المقفع 166 وتاريخ آداب اللغة العربية 1/ 4409- 441.

obeikandl.com

محدود من الآثار فإن إي أحد لا يمكنه أن يقول: إن عهد(أردشير) ترجم كاملاً إلى العربية، لا ابن مسكويه ولا غيره. ولكن الموازنة بين الأدب الكبير في موضوع (السلطان) وبين العهد السابق تبرز التقاء نقاط عدة، مما دفع بالدكتور عبد اللطيف حمزة إلى الاعتقاد بأن العهد من ترجمة ابن المقفع أيضاً.[104] ولعل هذا صحيح؛ فمقدمة الأدب الكبير للسلطان تشابه كثيراً المقدمة المنشورة لعهد أردشير، فضلاً عن طبيعة المنهج. فالكتاب صغير الحجم لا يزيد عن مائة ورقة[105] ويضم مقدمة وموضوعين اثنين. أما المقدمة التي اختطها في التأليف، ولا سيما في الأدب الصغير والأدب الكبير فقد كانت بداية لوضع مقدمات الكتب، وهو يصرح في هذه المقدمة كما فعل في سابقتها بالعديد من الوصايا، والحكم التي لا بد لطالب العلم الالتزام بها؛ فضلاً عن بيان مصادره والتنويه بالقدماء.. فهم عظيموا الفضل على الأجيال، وكانوا أبدا يتطلعون إلى الحكمة وطلب العلم، ويسارعون إلى تقييد العلم بأي وسيلة توافرت لهم وأينما كانوا، وما كتبه إنما هو مشتق من حكمهم.

أما نصائحه لطالب العلم فهي ثمان:

- معرفة الأصول والفروع.
- الالتزام بطلب العلم، ولزومه للوصول إلى التفقه فيه كما يفعل رجل الدين.
- صلاح الجسد ومنافعه يكون باللذائذ البدنية من مأكل ومشرب

(104) انظر ابن المقفع 168و انظر نصيحة الملوك 58- 59 و 87 و 142 و 160 و 231 و235 و 376 و بهجة المجالس 1/ 332.

(105) الطبعة التي اعتمدنا عليها بتحقيق د. إنعام فوال يبدأ كتاب (الأدب الكبير) بصفحة 67 وينتهي بصفحة 137.

obeikandi.com

ونكاح وإن كان لابد منه فليكن خفيفاً.

- الإسراع إلى طلب العلم والصبر عليه، فليكن المرء أول حامل له وآخر منصرف عنه.

- زكاة العلم تعليمه؛ أن يجود به على أهله.

- صون العالم لنفسه وعلمه الوقار والاحتراز والتحفظ بما يقول.

- منافع العلم الدنيوية كثيرة مادية ومعنوية.

- لما كانت منافعه كثيرة فلابد للعالم من الاتصاف بالأخلاق.

أما متن الكتاب فإنه يشتمل على موضوعين اثنين؛ وقد تكامل كل موضوع في أفكاره؛ فجاءت مرتبة منسقة مستوفية استيفاء حسنا للكلام الذي وضعت له؛ الأول (في السلطان) والثاني (في الأصدقاء).

ويبدو لي أن السلطان شغل ذهن ابن المقفع ذهن ابن المقفع كثيرا؛ وكان يرى أنه إذا صلح الراعي صلحت الرعية، وما يلمسه ليس كما يريد لخير هذه الأمة. وهذا عينه ما نفهمه من الحديث الشريف (أيَّما راعٍ غش رعيته فهو في النار)[106]. ومثله الحديث الآخر: (ألا إن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته؛ ألا وأكبر الغدر غدر أمير عامة، ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[107].

فابن المقفع شهد الفتنة العظيمة حول الخلافة بين الأمويين وأعدائهم؛ ثم عاين

(106)الجامع الصغير 1/ 406 حديث رقم 2987 وانظر فيه 1/ 186 حديث رقم 1464.
(107) الجامع الصغر 1/ 214- 215 حديث رقم 1620.

obeikandl.com

ما يجري من أبي العباس السفاح لتوطيد أركان الحكم ومن بعده أخيه أبي جعفر الذي بطش بأعمامه، وكل من شعر بأنه خطر على حكمه كأبي مسلم الخرساني، ولم تشفع له أعماله الكبرى في خدمة دولة بني العباس وهي في أول عهدها، وربما انغمس ابن المقفع في الخلاف الذي ظهر بين أبي جعفر وبين عمه عبد لله بن علي وأخوته لأنه كان كاتباً لسليمان بن علي وأجج ناره حتى اكتوى بها، ومن ثم أحرقته وقد دمر المنصور بقتله.

فهو في باب السلطان يقسم نصائحه إلى قسمين؛ قسم يتعلق في الشؤون الشخصية في حياة السلطان وصفاته وكيفية التعامل مع عماله ورعيته. فعليه ألا يركن إلى المدح؛ وأن يعرف أهل الفضل؛ وأن يقدر لكل شيء قدره، وأن يعتدل في القول والفعل والتصرف؛ فلا يغضب ولا يظلم، ولا ينسى رعيته بالتفقد والرعاية. ومن ثم يعرض لقسم آخر يتعلق بكيفية التعامل مع السلطان وإنزاله منزلة الثقة دون أن يسأله أو يدل عليه بما يقوم به، وعليه أن يحدر من سخطه ومن الكذب عنده؛ وأن يحسن الإصغاء؛ ويعرف متى؛ ومتى يجيب ومن ثم لابد من أن يرفق بنظرائه ممن يعملون عند السلطان من الوزراء والأخلاء. وأن يحتمل كل رأي مخالف لرأيه، وألا يشكوهم إلى السلطان فمن لم يدرب نفسه على طاعة الملوك وموافقتهم فليبتعد عنهم. أما الرعية فلا بد لها من الابتعاد عن السلطان، وأن تحسن مداراته إلا فيما يخالف فيه مبادئ الدين والعقل والمروءة كما في قوله: (إن استطعت ألا تصاحب من صحبت من الولاة إلا على شعبة من قرابة، أو مودة فافعل)[108].

(108) الأدب الكبير 84- 85، ونظير ذلك موجود في (المهابهارتا) 111- 112.

obeikandl.com

ولعل هذه الوصية هي التي جعلته يبتعد عن دار الخلافة وأبي جعفر المنصور، واكتفى بما ناله من بعض الولاة وكان قد رأى ما حل بصديقه عبد الحميد، وشهد ما جرى لوفد البصرة الذي رجع خائباً مكسوراً؛ ولم يسمح له بالدخول على أبي العباس السفاح. أما موضوع (الأصدقاء) فهو يمثل الرسالة الثانية من كتاب (الأدب الكبير) وهو يعرض لأقوال مأثورة جميلة في الصداقة مما جرى على ألسنة الحكماء. فالصداقة أس الحياة ومرآة النفس، ومنزلتها في الذات أسمى المنازل كما يطالعنا في أول الرسالة: (أبذل لصديقك دمك ومالك؛ ولمعرفتك رفدك ومحضرك؛ وللعامة بشرك وتحننك، ولعدوك عدلك وإنصافك، وأظنن بدينك وعرضك على كل أحد)[109]. ومن هنا أخذ يعرض نصائحه؛ فعلا الإنسان ألا ينتحل رأي غيره؛ وألا يبدأ بالحديث، وألا يخلط الجد بالهزل، أو يتطاول على الأصحاب؛ ويدعي العلم متباهيا به. ثم يتحدث عن شروط اختيار الصديق؛ ومواساته، وصون اللسان عنه وعن غيره لئلا يحتاج إلى الاعتذار، فالصديق مكسب في الدنيا.

ومن ثم عالج جملة من العيوب الاجتماعية في الصبر والجود والكرم والحسد، واستطرد إلى الحديث عن معاملة العدو، وشهادة العدل، والحذر من المراءة وحفظ المليح من الأحاديث، وختم الموضوع بحكم متفرقة توفق بين الدين والمروءة فيقول: (إذا أكرمت على دين أو مروءة فليعجبك؛ فإن المروءة لا تزايلك في الدنيا، وإن الدين لا يزايلك في الآخرة)[110].

ومما ورد فيها آراء في الاحتراس ونزاهة العرض، ومجالسة الناس وحسن

(109) الأدب الكبير 102.
(110) الأدب الكبير 128.

obeikandi.com

الاستماع والاستشارة في الرأي؛ وغير ذلك.

قراءة موجزة في الكتابين:

إن كتابي (الأدب الصغير) و (الأدب الكبير) ثابتان في نسبتهما لابن المقفع؛ ولم يشك أحد في هذا؛ وقد ألفهما بعد تأليفه كتاب (كليلة ودمنة) لأنهما تضمنا بعض الحكم والأمثال الواردة فيه، ونرجح إنهما ألفا قبل رسالته المعروفة (رسالة الصحابة)، وإذا كان ابن المقفع قد أضاف بعض الأبواب إلى أصل (كليلة ودمنة) دن أن يغير في صميم الأبواب الاخرى شيئاً، فإنه طبعها بطابع الذوق العربي الإسلامي؛ وإن ظلت في الأشخاص هي هي. وكذلك احتفظ بالسند، وطبيعة القص، وسار على منواله فيما أضافه من أبواب، ولا سيما حين تحدث عن الطبيب الفارسي (برزويه) الذي يعود له الفضل في نقل كليلة ودمنة إلى الفهلوية. أما في كتابي (الأدب الصغير) و (الأدب الكبير) فلم يبقِ من السند إلا آثاراً قليلة على الرغم من أن مادتهما مستقاة من كلام الناس قبله باعترافه الصريح فيهما؛ كما في قوله وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصقالها، وتجلية أبصارها، وإحياء للتفكير، وإقامة للتدبير؛ ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق؛ إن شاء الله)[111]. ويقول في (الأدب الكبير): (ولم نجدهم غادروا شيئا يجد واصف بليغ في صفة له مقالا لم يسبقوه إليه وقد بقيت أشياء من لطائف الأمور؛ فيها مواضع لصغار الفطن، مشتقة من جسام حكم الأولين

(111) الأدب الصغير 20.

obeikandl.com

وقولهم، فمن ذلك بعض ما أنا كاتب في كتابي هذا)[112]. هذه الطريقة هي الترجمة والتأليف كان قد اصطنعها من قبل في كتابه المفقود (الدرة اليتيمة) الذي ذكره الأصمعي، وأثنى عليه؛ كما أشرنا إليه سابقاً، وهي طريقة يتبع فيها صديقه وأستاذه عبد الحميد الكاتب، ولا سيما رسالته إلى ولي العهد.

وابن المقفع في كتابه (الأدب الصغير) و(الأدب الكبير) أكثر تصرفا بطريقة الترجمة مما كانت عليه في (الدرة اليتيمة) أو في (كليلة ودمنة)؛ إنه يعتمد منهج النقل والعقل معا. ولا شك في طغيان العقل على الكتابين؛ ولكن النقل يظهر للمتأمل في بعض الإشارات إلى السند في الأدب الصغير؛ وإن لم يصرح به. فهو يأتي بعبارة (وقال) وما في نحوها[113] وتعني: وقال الحكيم، ولا يقصد به. فهو يأتي بعبارة الحكيم الفارسي كقوله: (قال رجل حكيم: ما خير ما يؤتى المرء؟ قال: غريزة عقل. قال: فإن لم يكن؟ قال: فتعلم علم)[114]. ويقول في موضع آخر: (وسمعت العلماء قالوا: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف)[115]. وانتفت هذه العبارة أو نحوها من موضوع (السلطان) في كتاب (الأدب الكبير)، ثم استعملت مرة واحدة في موضوعه الآخر؛ وهو (الصداقة)، فقد جاءت في قوله: (احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضاء)[116]. ولعلنا نغفر لابن المقفع عدم ذكره للسند المتصل، أو إغفاله أسماء الكتب التي نقل عنها؛ لأنه صرح في بداية كتابيه بنقله عنها على تدخله الواضح في سياق الحكم والوصايا

(112) الأدب الكبير 68- 69.
(113) انظر الأدب الصغير 45 و46 و 47 و48 و 49 و 64 و 65.
(114) الأدب الصغير55.
(115) الأدب الصغير62.
(116) الأدب الكبير108.

obeikandl.com

والأمثال التي ترجمها بما يوافق الذوق العربي والإسلامي، ومن اطلع على الثقافة الفارسية فيما ترجمه غيره يدرك أن جملة من الوصايا التي وقعت فيهما مثبتة في نظم الساسانيين في الحكم، وبعض منها منقول من عهد (أردشير) كالنظام المتعلق بولي العهد، بل إن الكتابين يذكران الباحثين بكتابي (سياسة نامه) و(كايوس نامه) وما إليهما من كتب فارس[117]. وهذا يعني أن ابن المقفع صدر عن الأثر الثقافي الفارسي؛ وليس هذا غريباً؛ لأنه من أصل فارسي، وللأصل تأثيره لا محالة كما انتهى إليه الدكتور طه حسين[118]. ومن يمعن النظر في الكتابين يلحظ ان الأثر الفارسي لم يكن وحيداً؛ فهناك أثر هندي ظاهر في الحكم التي نقلها من كتاب (كليلة ودمنة) كما في محاسبة النفس في الأدب الصغير، والصداقة في الأدب الكبير[119]. ولنفحص هذه المقولة من الأدب الكبير: (اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا؛ هم زينة في الرخاء؛ وعدة في الشدة)[120] أليست هي مماثلة للتي قالها الفيلسوف في باب الحمامة المطوقة؛ (إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئاً؛ فالإخوان هم الأعوان على الخير كله والمواسون عندما ينوب من المكروه)[121]. أما الأثر اليوناني فليس خفياً هو الأخر على العقول؛ وهو يتضح خاصة في تفضيل لذة على لذة، ويرى أن العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره، فيعلم أن أحق ذلك بالطلب؛ إن كان مما يحب، وأحقه بالاتقاء؛ إن كان مما

(117) انظر ابن المقفع 167- 168.
(118) انظر من حديث الشعر والنثر 32- 48.
(119) انظر مثلاً: كليلة ودمنة (باب الفحص عن أمر دمنة 78- 90.
(120) الأدب الكبير 112.
(121) كليلة ودمنة 91.

obeikandl.com

يكره...)[122]. ففي هذا الرأي نلمح فلسفة (أبيقور) الممزوجة بفلسفة أرسطو[123] ونلمحها في قوله من الأدب الكبير: (وأصل الأمر في صلاح الجسد ألا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه إلا خفافاً)[124]. فهو يوضح للعاقل أن عليه تفضيل اللذائذ الروحية والعقلية على اللذائذ الجسدية.

وكذلك نلمح أثر مبادئ الدين الحنيف؛ وأثر أقوال بغض الصحابة، ولا سيما حكم الإمام علي (ع)، ومن ذلك قوله في الأدب الصغير: (السعيد يرغبه الله في الأخرة حتى يقول: لا شيء غيرها، فإذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرته؛ لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا ولم ينقصه من سروره فيها)[125]. فهذا الكلام مستمد من قوله تعالى:[وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنسى نصيبك من الدنيا] (القصص 28/ 77). ولو أردنا أن نرد كثيراً مما ورد لديه في الكتابين إلى ما يشبهه في القرآن والحديث لما أعجزنا الأمر، ولكننا تركناه لكثرته ولوضوحه. ونعتقد بأن ابن المقفع لم يكن مترجماً يحذو من تقدمه حذو القذة بالقذة؛ وإنما كان يصوغ ذلك وفق ذوق مرهف؛ وعقل صانع حصيف. ولا شك أن طابع العقل والتفكير طاغٍ على مادة الكتابين وأسلوبهما؛ ولكنه كان في ذلك كله يدل على احترام عظيم للدين الحنيف، ويصدر عن كثير من مبادئه، فليس في الكتابين عبارة واحدة توحي بانحرافه أو رقة دينه، علماً أنه لم يمض على إسلامه إلا سنوات قليلة.

ولما دل الكتابين على سمو أخلاقه ونضج عقله، وعمق ثقافته، وتطور أسلوبه

(122) الأدب الصغير 21 وانظر فيه 29.
(123) انظر ضحى الإسلام 1/ 204 وابن المقفع 165- 166.
(124) الأدب الكبير 70.
(125) الأدب اصغير 54.

obeikandi.com

كان يؤكد ذاته الإبداعية في الوقوف بين ثقافتين، ثقافة قديمة ليست فارسية هذه المرة ولا هندية؛ وإنما فارسية هندية يونانية؛ ويجعلها ممزوجة بالثقافة العربية ليقدم لأبناء أمته ما يفيدهم ويجعلهم أكثر ارتقاء وحضارة. إنه يقف من جديد بين حضارتين قديمة زائلة، وجديدة ناهضة، ولهذا لا يمكن للباحث أن يترك هذين الكتابين دون أن يقف عند كلمة أخرى، فابن المقفع قد ظهر فيهما مثقفاً من طراز رفيع؛ لأنه قرأ كتباً كثيرة من ثقافات عدة؛ وشغف بآراء وعبارات قيدها في صدره وفي عقله، ولهذا تكون له منها رصيد كبير، فما اجتمع منها في اتجاه واحد أو متماثل ضم بعضه إلى بعض فصار موضوعاً لديه؛ وهذا ما نجده في كتابه (الأدب الكبير) ففيه موضوعان اثنان، الأول يدور حول السلطان، والثاني حول الصداقة، أما العبارات التي حملت جملة من الحكم والنصائح للخاصة والعامة في شؤون عديدة فقد جعلها في كتابه (الأدب الصغير) فكانت أشبه بالجواهر المنظومة في عقد واحد كل جوهرة تحاكي أختها في الجمال والإفادة.

ولعل عملية جمع الأقوال والآراء الحكيمة والوصايا العظيمة، ومحاولة التوفيق فيما بينها هي التي أدت إلى الاضطراب في التركيب، وهو ما أطلق عليه الدكتور طه حسين الالتواء والدوران[126]. فالباحث يكشف أثر التوفيق بين الآراء بكل دقة في ضوء التقديم والتأخير في الأسلوب، وكذلك الإيجاز والحذف، وغير ذلك مما لجأ إليه ابن المقفع. أما لغته فليس فيها ما يعيبها، فهو بليغ فصيح وكذا شهد له من قبل الأصمعي[127]. ومن اللافت للنظر

(126) انظر من حديث الشعر والنثر 32- 33- 39 و 47- 48.
(127) راجع ما تقدم حاشية 15 من مدخل الفصل الأول، وانظر فيه الحواشي.

obeikandl.com

شهادة الدكتور طه له؛ على الرغم من أنه جعله أول مستشرق في تاريخ العربية، فقال: (وله عبارات من أجود ما تقرأ العربية؛ وبنوع خاص في الأدب الكبير وفي كليلة ودمنة. ولكن عندما يتناول المعاني الضيقة التي تحتاج إلى الدقة في التعبير يضعف، فيكلف نفسه مشقة)[128].

أما الدكتور شوقي ضيف فيدفع عن ابن المقفع الضعف اللغوي، ولكنه يقرّ به من حيث نسبه إلى أيدي النساخ بعده؛ إذ جاء في جملة رده على الدكتور طه قوله: (ونسي أن الرسالتين تداولتهما أيدي النساخ بعد ابن المقفع؛ وأنه ربما دخلهما هذا الارتباك من أيديهم)[129]. إننا تأملنا بعمق كلام ابن المقفع فلم نعهد عليه اضطراباً أو التواء إلا فيما أعدناه إلى رصف الكلام بعضه إلى بعض والتوفيق بينه نتيجة للترجمة، وهذا الالتواء نادرٌ جداً؛ كما نجده مثلاً في جملة من الوصايا والنصائح المبثوثة في الأدب الصغير حين كان يتحدث عن الرجل الحازم فسرعان ما عرض للمشورة ثم الطمع ثم صرعة اللين ثم أشياء أخرى؛ وهكذا[130].

وهذا الحكم - كما نبين - ليس مطلقاً؛ فضلاً عن آراء كتاب (الأدب الكبير) فهي أكثر ترابطاً؛ ورتبت على الموضوع الذي عالجته.

رسالة الصحابة:

هي رسالة من تأليف ابن المقفع استوحى مادتها مما كان قد عرفه من أنظمة

(128) من حديث الشعر والنثر 49.
(129) العصر العباسي الأول 521.
(130) انظر مثلاً: الأدب الصغير 58- 59.

obeikandl.com

الحكم في الدولة الساسانية؛ وربما جمع إليها ما سمعه من قانون جوستنيان[131].

ولا شك أنه وجهها إلى أمير المؤمنين دون أن يصرح باسمه، دون أن يرفعها إليه مباشرة؛ ولا نرتاب في أنها تختص بأبي جعفر المنصور وإن لم يسمه؛ لأنه يذكر دولة بني العباس[132] وقد توطد حكمها، فآل إليه، ثم ترجم فيما بعد على أخيه أبي العباس[133]. وهذا يعني أنه كتبها بعد سنة (136هـ)التي بويع فيها بالخلافة لأبي جعفر بعد موت أخيه أبي العباس في السنة نفسها؛ ولعلها أطول رسالة من رسائله التي ألفها في أعوامه الأخيرة. وكان الهدف منها إصلاح الراعي والرعية؛ فإذا صلح السلطان صلحت الرعية، ولا تصلح هذه إلا بصلاح ولاته وبطانته ممن يستعين بهم في إدارة شؤون الخلافة.

ولهذا سميت (رسالة الصحابة) ويعني بالصحابة الولاة والقادة أو البطانة التي يقربها الخليفة منه ويجعلها موضع ثقته وسره. وقيل: (أكبر الظن أن هذه التسمية متأخرة عن عصر ابن المقفع، وأنها من صنع المعتزلة)؛ والجاحظ هو من أطلق عليها اسم الرسالة (الهاشمية). ثم ذهب من قال ذلك إلى أن هذه التسمية كانت بسبب انتماء بني العباس إلى جدهم الأكبر، فهم من بني هاشم على الأغلب[134]، ولعل الأصح من ذلك أنها سميت بهذا الاسم لأن السفاح بنى (بُليدة) عند الأنبار سماها الهاشمية فانتقل إليها وبها مات؛ وكانت

(131) انظر من حديث الشعر والنثر 47- 48 وابن المقفع 106.
(132) انظر جمهرة رسائل العرب 3/ 31- 32 وتاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 100.
(133) انظر جمهرة رسائل العرب 3/ 42.
(134) انظر ابن المقفع 169- 170.

obeikandl.com

مركز الخلافة حتى بنيت بغداد[135]. ونحن نميل إلى أن ابن المقفع هو الذي أطلق عليها اسم (رسالة الصحابة) بمعنى البطانة، وليس بالمعنى المعروف لها في صحابة رسول الله (ص)، وقد قال: (فأن من أولى أمر الوالي منه بالتثبت والتحير أمر أصحابه الذين هم بهاء فنائه، وزينة مجلسه؛ وألسنة رعيته، والأعوان على رأيه، ومواضع كرامته؛ والخاصة من عامته).[136] ولن يكون لهم هذا حتى يتوافر فيهم شرطان هما: الحسب أولاً والعقل ثانياً، ثم تكلم على البطانة وسماها باسم الصحابة فقال: (ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة؛ ممن لا ينتهي إلى أدب ذي نباهة؛ ولا حسب معروف، ثم هو مسخوط الرأي مشهور بالفجور)[137]. وقد ابتدأ الرسالة بالدعاء لأمير المؤمنين والثناء عليه بقوله: (أما بعد - أصلح الله أمير المؤمنين، وأتم عليه النعمة، وألبسه المعافاة والرحمة - فإن أمير المؤمنين - حفظه الله - يجمع مع علمه المسألة والاستماع؛ كما كان ولاة الشر يجمعون مع جهلهم العجب والاستفتاء)[138]. ثم يكتب ثناء في أمير المؤمنين - دون تسميته - وينعطف إلى ذكر الشكوى من الولاة، وعدم مبالاتهم بالإصلاح، فلم يكونوا أعوانه على الخير، ويستمر على هذا المنوال من التقسيم في الكلام بينه وبين البطانة (الصحابة) حتى نهاية المقدمة[139] ويؤيد رأيه لذكره ليوسف (عليه السلام) وخبره في القرآن الكريم. ومن ثم تحول إلى شرح حال الجند؛ وخصهم بجزء كبير من رسالته، وعاب عليهم أموراً عديدة منها: الميل لدى الكثير منهم إلى الترف بسبب ما

(135) انظر وفيات الأعيان 2/ 154 والتنبيه والإشراف 293 وتاريخ اليعقوبي 2/ 358.
(136) جمهرة رسائل العرب 3/ 40.
(137) جمهرة رسائل العرب 3/ 43 وانظر فيه 44.
(138) جمهرة رسائل العرب 3/ 30- 31.
(139) انظر جمهرة رسائل العرب 3/ 31- 33.

obeikandl.com

يغنمونه من مال؛ والزهو الذي ينتاب بعضهم مما يؤدي إلى الخشية على الدولة نفسها؛ وحقد بعضهم مما يؤدي إلى الخشية والحسد، فضلاً عن الجهل وسوء الخلق، ولا ننسى أن نشير إلى أن معظمهم كان من فارس.

فالدولة لا زالت في عهد نشأتها، ولها أعداء كثيرون يطمعون فيها، ودارها واسعة؛ ولا يخلو فيها يوم من فتنة.

وإذا كان قد خص جند خرسان بالمدح فلا يعني أنه متعصب لهم، لأنهم في تلك الصفات التي عرضها لحال الجند سواء ولهذا اقترح على الخليفة ما يلي:

1 - إقامة دستور أو نظام خاص بالجند يحيط بكل ما يتعلق بواجباتهم وحقوقهم وتكون المرجعية الأخيرة فيه للخليفة إلا إذا دعا إلى ما لا يطاع فيه، وفق المقولة المشهورة: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق). فهناك حدود وفرائض بيّنها الله؛ فإذا أمر الخليفة بشيء يخالفها فلا يطاع أمره، ولكن يطاع في غير ذلك كله، ويطاع فيه فيما لا يطاع فيه غيره من قضايا الاجتهاد والرأي، بمعنى أن هناك نصوص دينية يلتزم بها الخليفة والجند والناس جميعاً على السواء، وليس فيها اجتهاد فليكن مرجعه الوحيد للخليفة.[140] وهذا الاقتراح وحده دال على مدى نضج الفكر الديني عند عبد لله ابن المقفع؛ وتميزه مما سبق.

2 - أن يحول الخليفة بين الجنود وشؤون المال من الخراج وغيره، فالمال مفسدة للجند، وداعية لهم إلى البطر وظلم الناس،

(140) انظر المصدر السابق 3/ 34- 35.

obeikandl.com

والتدخل في شؤون لا ينبغي لهم أن يتدخلوا فيها. ومما قاله في هذا (ومما ينظر فيه لصلاح أهل الجند ألا يولي أحداً منهم شيئاً من الخراج، فإن ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة)[141].

3 - تثقيف الجند ثقافة علمية وخلقية تأخذهم بالتواضع والتضحية والطاعة والعفة والأمانة، والإخلاص في التدريب، وكل ما يأمر به الخلق الكريم. ويصدر في هذا الاقتراح عن المزج بين التعاليم الإسلامية، والثقافة الفارسية[142].

4 - تحديد موعد معين لأرزاق الجنود يضبطها الخليفة وتكون عامة في الولايات الإسلامية منعاً من الإبطاء والشكوى. فيقول: (لو أن أمير المؤمنين خلى شيئاً من الرزق؛ فجعل بعضه طعاماً، وجعل بعضه علفاً، وأعطوه بأعيانه)[143].

5 - تقصي أحوال الجند والقادة والولاة، ومعرفة أوضاعهم وأخبارهم وأحوالهم النفسية والاجتماعية، ويمكن للخليفة أن يختار لهذه المهمة رجالاً ثقات مخلصين من أصحابه. ومن هذا قوله: (ومن جماع الأمر وقوامه بإذن الله أن لا يخفى على أمير المؤمنين شيء من أخبارهم وحالاتهم وباطن أمرهم بخرسان والعسكر والأطراف)[144].

6 - مراعاة الكفاية في القيادة[145] فليلتمس الخليفة الرجل المناسب الكفء للمكان الذي يليق به، ويتصف بصفات القائد

(141) المصدر السابق 3/ 36.
(142) انظر المصدر السابق 3/ 36- 37.
(143) انظر المصدر السابق 3/ 37 و انظر فيه 42.
(144) المصدر السابق 3/ 37.
(145) انظر المصدر السابق 3/ 36، وانظر ما يأتي حاشية 162و 163.

obeikandl.com

الحقيقي الذي يكون مثلاً لمن يقودهم، وهنا نتساءل: هل كانت الثورة على الخليفة الراشدي الثالث في بعض جوانبها إلا بسبب ذلك؟!! هذه هي الوجوه التي يمكن أن يصلح بها الجيش، وتنقطع فيه الشكوى والتذمر، ويقضي على العصيان والتمرد.

وكذلك تحدث عن القضاء الذي وجد فيه فوضى مستشرية، فلا يرجع فيه القاضي إلى قانون معروف ليحكم فيه، فهناك فوضى في الآراء والأحكام، وكان القضاة نوعين؛ أو فريقين؛ أحدهما يأخذ بالسنة والقياس، ويلتزم بالنص والعموم، وربما يراعي الشكل أكثر من الجوهر فضلاً عن أن هناك سنناً لم يجتمع الناس عليها[146]، والآخر يأخذ بالرأي والاجتهاد؛ ويجعل عقله وحده سبيله إلى الحكم والقضاء، فإذا أضيف إلى هذا كله وجود قضاة غير أكفاء ازدادت البلوى المرعبة. هكذا بلغ التناقض أحياناً في القضية الواحدة، والبلدة الواحدة حداً عظيماً، بحيث وصل الأمر في القضاء إلى فوضى كبيرة، مما يفرض على الخليفة أن يضع قانوناً رسمياً واحداً يجري عليه القضاء في أنحاء الدولة كلها.

ويبدو أن هذه الدعوات لاقت قبولاً في نفس أبي جعفر فطلب إلى مالك بن أنس أن يضع كتاباً لتوحيد القضاء فنصحه الإمام مالك أن يدع الناس وما يختارونه في كل بلد مما يوافقهم، ويوافق شؤونهم وقضاياهم فعدل المنصور عنها، ولكن الإمام ألف كتابه المشهور(الموطأ)، وشاع ذكره بين الناس جمع فيه كثيراً من قضايا الفقه.

(146) انظر المصدر السابق 3/ 40.

obeikandi.com

ومن ثم حاول هارون الرشيد إنفاذ الفكرة فنجح مسعاه على نحو ما سنذكره، ونرى أن ابن المقفع سعى إلى فكرة تقنين القوانين، وتوحيد الناس عليها لئلا تستشري الفوضى، ومن ثم يسود الاختلاف بدل الاتفاق، وهذا ما كان أنفذه من قبل صحابة رسول الله في جمع المسلمين على مصحف واحد؛ ثم أجراه عمر بن عبد العزيز في جمع الحديث الشريف في كتاب واحد.

ويرى الدكتور طه حسين أن فكرة توحيد الناس على أمر ما إنما هي أثر من آثار الثقافة اليونانية، وعادة الرومان في القضاء؛ وقد صدر قانون (جوستنيان) قبل قرنين من ابن المقفع[147] بينما يرى الدكتور حمزة أن الفكرة أثر من آثار ثقافته الفارسية قبل كل شيء[148]، وكلاهما تجاهل ما فعله الصحابة وعمر بن عبد العزيز (رضوان الله عليهم أجمعين)[149]. ومما قاله في هذا الشأن: (فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأقضية والسنن المختلفة وكتب بذلك كتاباً جامعاً عزماً؛ لرجونا أن يجعل الله هذه الأحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكماً واحداً صواباً)[150].

وذكر ابن المقفع في رسالته (الخليفة) بأحوال أهل العراق عامة والبصرة والكوفة خاصة، وهم أقرب الناس إليه. ولأهل العراق من الفقه والعفاف والألسنة ما ليس لغيرهم[151] فلا بد من العناية بهم؛ بعد أن أزرى بهم ولاتهم ومن قاموا على شؤونهم، وإذا قصد الفضلاء منهم دار الخلافة منعتهم البطانة

(147) انظر من حديث الشعر والنثر 47 و العصر العباسي الأول 520.
(148) انظر ابن المقفع 106.
(149) انظر ضحى الإسلام 1/ 211.
(150) جمهرة رسائل العرب 3/ 40.
(151) انظر المصدر السابق 3/ 38.

السيئة. وبهذا يذكرنا بما وقع في عهد أبي العباس مع جماعة منهم فيهم ابن المقفع، وإن لم يصرح به.

ويعطف قلب المنصور على أهل الشام[152] إذ كانت نظرة العباسيين إليهم نظرة كراهية وعداء على اعتبار ما كان من أمرهم، ولكن مروءة أمير المؤمنين وحكمته وعقله لا يمنعه أن يصطنع خيارهم، ويستدر مودتهم بالإنفاق عليهم مما يجمع من أهل السوء.

كما تحدث عن جزيرة العرب التي كانت موضع نقمة المنصور لأنها خرجت عليه[153] في الحجاز واليمامة وغيرها وتولاها ولاة سوء انتهكوا حرماتها، وهي فقيرة ليس لها ما للأمصار الأخرى من ثروات وغنى (أن يكون من رأي أمير المؤمنين - إذا سخت نفسه عن أموالها من الصدقات وغيرها - أن يختار لولايتها الخيار من أهل بيته وغيرهم؛ لأن ذلك من تمام السيرة العادلة، والكلمة الحسنة التي قد رزق الله أمير المؤمنين وأكرمه بها، من الرأي الذي هو بإذن الله حمى ونظام لهذه الأمور كلها[154]. فجزيرة العرب قبلة المسلمين، وهي منبع النبوة والإسلام، وحاجتها إلى خير الولاة أمس من حاجة غيرها إليهم ورعايتها من تمام السيرة الحسنة.

وكان ابن المقفع قد ذكر الخليفة بأمر الأرض والخراج؛ فهو الرافد الأهم لبيت مال المسلمين، فهناك فوضى عظيمة في جباية خراج الأرض، فلا سجلات تحصي المال؛ وليس للعمال أمر ينتهون إليه، ويحاسبون عليه، ويحول بينهم

(152) انظر المصدر السابق 3/ 41- 42.
(153) المصدر السابق 3/ 46.
(154) المصدر السابق نفسه.

obeikandl.com

وبين الحكم على أهل الأرض بعدما يتأنقون لها في العمارة؛ ويرجون لها فضل ما تعلم أيديهم. فسيرة العمال فيهم إحدى اثنتين: إما رجل أخذ بالخرق والعنف من حيث وجد، وإما رجل صاحب مساحة يستخرج ممن زرع، ويترك من لم يزرع، ويعمر من عمر؛ ويسلم من أخرب)[155]. ولهذا لابد من مسح الأرض وفرض الخراج المناسب عليها، بحيث يعرف كل مالك ما له وما عليه. ففي هذا (صلاح للرعية وعمارة للأرض، وحسم لأبواب الخيانة، وغشم العمال. وهذا رأي مؤنته شديدة ورجاله قليل، ونفعه متأخر. وليس بعد هذا في أمر الخراج إلا رأي قد رأينا أمير المؤمنين أخذ به، ولم نره من أحد قبله، من تخير العمال وتفقدهم والاستعتاب لهم، والاستبدال بهم[156]. أما ختام الرسالة فكان ببيان ما للخليفة من أثر عظيم في رعيته، فصلاحه يعني صلاح الولاة، والأمراء والقادة، وصلاح الخاصة يعني صلاح العامة؛ فيقول: (وقد علمنا علماً لا يخالطه شك أن عامةً قط لم تصلح من قبل أنفسها، ولم يأتها الصلاح إلا من قبل خاصتها؛ وإن خاصة قط لم تصلح من قبل أنفسها؛ وإنها لم يأتها الصلاح إلا من قبل إمامها). ثم بين أن كل رجل من رجال الدولة يتنكب عن سبيل الحق لابد من محاسبته، وكل واحد منهم ينبغي له الالتزام بما خصص له، لا يتجاوزه؛ ثم قال: (فلما رأينا هذه الأمور ينتظم بعظها ببعض، طمعنا لهم في ذلك - يا أمير المؤمنين - وطمعنا فيه لعامتهم، ورجونا ألا يعمل بهذا الأمر أحد إلا رزقه الله المتابعة فيه، والقوة عليه،ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو رب الخلق، وولي الأمر؛ يقضي في أمورهم، يدبر أمره بقدرة عزيزة؛ وعلم سابق؛

(155) المصدر السابق 3/ 45.
(156) المصدر السابق 3/ 46.

فنسأله أن يعزم لأمير المؤمنين على المراشد، ويحصنه بالحفظ والثبات، والسلام؛ ولله الحمد والشكر)[157]. وقد وردت هذه الرسالة في كتاب المنظوم والمنثور لابن طيفور ونقلها عنه من جاء بعده؛ ومن ثم نشرها أحمد زكي صفوت وغيره[158].

قراءة أخرى موجزة في الرسالة:

تلك هي خلاصة فكرية لما ورد في رسالة الصحابة، وهي رسالة أدبية سياسية فكرية ذاتية إبداعية ألفها ابن المقفع بأسلوب جديد يدل على وعي ونضج فكري وسياسي وفني؛ ويشي بنزوع إصلاحي أخلاقي؛ لأنها اشتملت على تشريح دقيق لنظام الحكم فيما يستند إليه من صحابة (بطانة) في تثبيت أركانه، وكيفية إصلاح المفاسد التي تقع في أجهزة الخلافة أو الدولة. إنها أشبه بمذكرة خاصة، ولعله كتبها بتكليف من سليمان بن علي وأخيه[159]. وقد بنى رسالته على مقدمة ومتن (الموضوع المعالج أعلاه) وخاتمة؛ اشتملت المقدمة على مدح أمير المؤمنين والدعاء له بعد أن وطد الله حكمه. وأشار بطرف خفي وذكي إلى أن الإنسان غير مخلد، وخلوده بعمله الخير حين قص علينا بإيجاز العبرة من قصة يوسف (عليه السلام). فهو يعرض لها للعبرة، كما يستشف من الآية القرآنية التي استشهد بها على لسان يوسف:(توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) (يوسف 12/ 101) بعد أن قال: (ثم سلا عما كان فيه،

(157) المصدر السابق 3/ 47- 48 وانظر ضحى الإسلام 1/ 214- 215.
(158) المنظوم والمنثور 12/ 182 وجهرة رسائل العرب 3/ 30- 48 ورسائل البلغاء وانظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 100.
(159) انظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 100.

obeikandl.com

وعرف أن الموت وما بعده هو أولى)[160]. فكأنه بهذا يشرح حال أمير المؤمنين بوفاة أخيه وقد ثبتت دعائم الحكم.

وتطول في المقدمة أنه كان حفياً باستمالة الخليفة إلى غرضه؛ فما ذكر جملة في مثالب البطانة التي يعتمد عليها نظام الحكم إلا مدحه في جملة أخرى؛ لأنه معقد الرجاء في إصلاح المفاسد التي وقعت منها في الأمصار الإسلامية كافة.

وقد استفتح المقدمة بعبارة التخلص (أما بعد) وجمع إليها التضرع الاستعطافي، وفيه توسل إلى الله عز وجل لكي يزيد الخليفة هداية ورشداً، ثم ختمها بما يقوي هذا المعنى حيث قال: (وما أشد قد استبان انا أن أمير المؤمنين أطول بأمر الأمة عناية لها ونظراً وتقديراً؛ من الرجل منا بخاصة أهله، ففي دون هذا ما يثبت الأمل وينشط للعمل ولا قوة إلا بالله، ولله، الحمد وعلى الله التمام)[161].
ثم بدأ موضوع رسالته فيذكره بالجند، وكيفية إطاعة السلطان، واختيار الولاة والقادة والخاصة للحكم، وعطف قلبه على خرسان والعراق، ثم تحدث عن القضاء وشؤونه؛ ورجع إلى تعطيف قلب أمير المؤمنين على أهل الشام؛ ومن ثم فصل من جديد في أمر صلاح الرعية لصلاح الحاكم ومن يختارهم لمساعدته من صحابته. وهو موضوع يلح على ذهنه فلا يمل من تكرار القول فيه في هذه الرسالة وفي ما أشرنا إليه من قبل حين تحدثنا عن (الأدب الكبير)، ويربط ذلك بحديثه عن الخراج وجباية العمال له على الأرض وغيرها، ويقترح رسم قانون واحد يستنه الخليفة لهذا الغرض. وإذا كان أبو جعفر لم يفعل ذلك فإن هارون الرشيد قد أحس بعظمة الأمر؛ فوجه أبا يوسف

(160) جمهرة رسائل العرب 3/ 31.
(161) المصدر السابق 3/ 33.

obeikandi.com

الرجل الفقيه العالم إلى وضع كتاب في الخراج فكان كتاب (الخراج) المشهور له. ويبقى الفرق بين أبي يوسف وابن المقفع أن هذا عالج القضية في إطار تنظيري عقلي ومنطقي لصلاح الأمة؛ على حين غلب أبو يوسف الوجهة الدينية؛ ودعمها بالأدلة من القرآن الكريم والسنة والأثر؛ وإن لم يجدها لجأ إلى القياس في الرأي[162]. وليس هناك من جدال أن أفكار ابن المقفع في هذا الشأن كانت وراء استحداث وظيفة (المحتسب) في دولة بني العباس[163] وصار الخلفاء تبعاً لما قاله ابن المقفع يختارون لها ذوي الكفاءة، ثم صار الولاة والوزراء أنفسهم يعنون بثقافتهم عناية كبرى، ولما استكمل ابن المقفع كلامه عن الخراج واقتراحاته فيه ربط أمره بما تستخرجه أرض النبوة، فكان قليلاً. ولهذا ينثني إلى تعطيف قلب أمير المؤمنين على أهلها على أن يترك لهم خرجها، وما يمن عليهم من مال لديه من الصدقات، ثم يختم قوله بالتشديد على صلاح الإمام والخاصة، ويدعو له بالحفظ والثبات ويحمد الله.

إنها رسالة أدبية فكرية سياسية محكمة البناء تعالج موضوعاً واحداً ليس غير؛ مما يؤكد أنها ثمرة ثقافية لخبرة ابن المقفع، إذ لا يوجد فيها أي أثر من آثار الترجمة، فابن المقفع دل في هذه الرسالة على الدقة في المعالجة، وفطنة في استعمال الكلام، وقوة في الملاحظة فلم يطعن لا من قريب ولا من بعيد في الخليفة بيد أنه يراه أهلاً للإصلاح والصلاح. إنها رسالة تذكرنا برسالة عبد الحميد الكاتب إلى ولي العهد؛ منهجاً وطريقة و في كثير من جوانب أفكارها، ومن هنا يتساءل المرء: من أين استشف الدكتور طه حسين

(162) انظر كتاب الخراج 6 و ضحى الإسلام 1/ 213- 214.
(163) انظر من حديث الشعر والنثر 48 وابن المقفع 111- 112 و العصر العباسي الأول 520.

obeikandi.com

الفكرة التي تذهب إلى أن مصرع ابن المقفع كان بسبب هذه الرسالة، ولا سبب غيرها عنده؟!![164]. وإذا كنا نحن نرى أن كتاب (الأمان) الذي سبق ذكره كان السبب المباشر والأهم لمقتل الرجل فإننا قد نرى في مقولة الدكتور بعض الحق، ولكن الرسالة لم تكن سبباً لذلك، هي من جملة الدواعي التي كان يضاف بعضها إلى بعض. فابن المقفع نصب نفسه واعظاً ومرشداً للخليفة لإصلاح أمر الأمة؛ كما في قوله: (وفي الذي قد عرفنا من طريقة أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على تناوله بالخبر، فيما ظن أنه لم يبلغه إياه غيره؛ وبالتذكير بما قد انتهى إليه؛ ولا يزيد صاحب الرأي على أن يكون مخبراً أو مذكراً؛ وكل عند أمير المؤمنين مقبول إن شاء الله، مع أن مما يزيد ذوي الألباب نشاطاً إلى إعمال الرأي فيما يصلح الله به الأمة في يومها)[165].

لعل الأمير قد استعظم من رجل كابن المقفع أن يخاطبه بمثل هذه الطريقة على ما فيها من لين الخطاب واستعطاف القلب، أو لم يكن يطوي وراء رسالته إلا ما يدل على عورات الحكم - كما يعتقد الخليفة، أو الدكتور طه - وكأنه بخسه التدابير السياسية التي يجريها في شؤون الحكم، وشجع في الوقت نفسه الرعية على الثورة؛ لأنه بصرها بحقوقها. وفضح بالمفاسد التي آلت إليها أحوالها. نقول: لعل هذا الذي استشفه الخليفة - كما ذهب إليه الدكتور - فقتله بعد ذلك. كما ذهب إليه الدكتور طه - أيعقل منه أن يفسرها على محمل حسن؛ بدليل أنه طلب إلى الإمام مالك بن أنس (95 -

(164) انظر من حديث الشعر والنثر 46- 49.
(165) جمهرة رسائل العرب 3/ 31.

openkanal.com

197هـ) أن يضع دستوراً عاماً للقضاء؟ ثم نتساءل: كيف يبقيه الخليفة كان هذا الخطاب الذي يدلي فيه ابن المقفع بنفسه وعلمه، ورأيه عليه ولكنه ليس السبب الكافي لقتله إنه سبب أضيف إلى أسباب أخرى، وكان الخليفة بسياسته المرنة لا يقتل الناس على أفكارهم إلا إذا كانت دعوة حقيقة للثورة عليهأو اعتقد أنها كذلك؛ ولا شيء أدل على ذلك كله من حادثة وقعت له مع رجل يصفه بالبغي والظلم والفساد وعفا عنه كما روى الماوردي[166]. والشيء الأخر الذي ذهب إليه الدكتور طه هو ضعف التراكيب في هذه الرسالة وضرب شواهد منها وإذا كنا لا نرى هذا الرأي المتطرف أبداً؛ فإننا لا ننسى رأي الجاحظ قبله فيها، حين اتهمه بنقص العلم، لأنه لا يحسنه أهل الكلام. ولعل الدكتور عبد اللطيف حمزة قد أجاد في رده عليه حيث قال: (ولست أدري ما الذي أشكل على الجاحظ من رسالة ابن المقفع في الصحابة؟ ولست أدري لماذا يقول: إن الجزء الأخير من هذه الرسالة ينهض دليلاً على ضعفه في الجدل؟. ولا أحمل هذا كله إلا على كره الخلفاء العباسيين لابن المقفع؛ ومجاورة الجاحظ لهم في هذه الكراهية)[167]. ومن هنا يمكن للمرء أن يرى في الرسالة الدقة المنطقية في عرض الأفكار، فلا يرسلها دون برهان أو تعليل، وهي تصاغ بأسلوب جذاب مرصوص خال من أي تعقيد أو خطأ أو غرابة، وقائم على جمل مقسمة على فواصل وتراكيب تكاد تكون متساوية؛ مع الميل إلى طولها؛ ولكن كل جملة مرتبطة بصاحبتها، يأخذ بعضها برقاب بعض بنسق كثر فيه (الواو) من حروف العطف، والشرط كقوله مثلاً: (ومما

(166) انظر نصيحة الملوك 559- 562.
(167) ابن المقفع 170 و انظر من حديث الشعر والنثر 48- 49.

obeikandl.com

يذكر به أمير المؤمنين أهل الشام؛ فإنهم أشد الناس مؤنة؛ وأخوفهم عداوة وبائقة؛ وليس يؤاخذهم أمير المؤمنين بالعداوة، ولا يطمع منهم في الاستجماع على المودة؛ فمن الرأي في أمرهم أن يختص أمير المؤمنين منهم خاصة؛ ممن يرجو عنده صلاحاً أو يعرف منه نصيحة أو وفاء)[168]. ويجري الكلام على هذا الأسلوب المنطقي الواضح الدقيق السهل الممتنع، المقسم إلى أجزاء، وفواصل مثيرة وجميلة، يذكرنا بأسلوب الخطابة، ولا ننسى أبداً أن ابن المقفع قال: (شربت من الخطب ريا؛ ولم أضبط لها رويا..)[169] وقد اقتبس في كلامه بعض آيات الذكر الحكيم؛ وضمنه معانيه، وجاء بشواهد شعرية على ما يقدمه من آراء كقوله: (فأما اليوم ونحن نرى فلانا وفلانا ينفر بأسمائهم على غير قديم سلف، ولا بلاء حدث. فمن يرغب فيما هاهنا يا أمير المؤمنين - أكرمك الله -؟ أما يصير العدل كله إلى تقوى الله عز وجل وإنزال الأمور منازلها؟! فإن الأول قال:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذ جهالهم سادوا[170]

هذه نماذج من الرسالة تبين بلاغتها ووضوحها، ودقة تراكيبها دون التواء، أو غموض وتفيد من الثقافة العربية قبل غيرها، مما يشجعنا على القول: إن هذه الرسالة تعد من النمط الأعلى من البلاغة الرفيعة وتؤكد أن ابن المقفع كان يعيش آمال الأمة، وتتمثل في ضميره آلامها ومشكلاتها، لهذا جعل نفسه

(168) جمهرة رسائل العرب 41/3.
(169) انظر وفيات الأعيان 151/2 و سرح العيون 150.
(170) جمهرة رسائل العرب 3/ 43 و البيت للشاعر الجاهلي الأفوه الأودي: انظر الطرائف الأدبية 10.

obeikandi.com

طليعة لأبنائها في الإشارة إلى مواطن الفساد، ولم يكن هدفه التجريح أو السخرية أو النيل من أحد، وإنما كان هدفه الإصلاح، والوصول بالأمة إلى الخير والفلاح، ولهذا كان يشرح الداء ويشخصه بكل وضوح ودقة ثم يضع العلاج الشافي. فقلمه كان كمبضع الجراح المتمكن من علمه، ولم يكن يبغي منه الدعوة إلى عصبية من أي جنس كانت إلا عصبيته للحق والعلم وصلاح أمته، لأن أكثر بطانة أبي جعفر كانت من الموالي ولا سيما الفرس. ونحن لا ننكر أن تكون ثقافته صادرة عن الفارسية، ومتأثرة باليونانية؛ وإن قل الأثر العربي - كما يرى بعض الدارسين[171]. ولكننا ننكر أن تكون رسالته هذه أو غيرها دعوة إلى استنهاض العصبية الفارسية كما ادعاها عليه غير واحد من الباحثين[172]؛ إذ ليس في هذه الرسالة ولا غيرها عبارة واحدة تنهض دليلاً على ادعائهم. لقد وضع ابن المقفع ثقافته في خدمة أمته - كما اتضح من مجمل الآراء التي استشهدنا بها - لأنه حين يتحدث عن مفاسد الدولة والولايات كان يشعر بالظلم الذي يقع على المجتمع قبل أي شيء آخر، لهذا كان لابد من كلمة العقل التي يرسلها إلى أصحاب الآذان الصاغية والقلوب اليقظة، والأذهان المتفتحة على الحق لإقامة العدل على نظام دقيق، ودستور واحد تجتمع عليه الأمة. إنه يستوحي من ثقافته القديمة ومبادئها أياً كان نوعها مادته الفكرية ويصوغها في قالب فني بلاغي عربي ناصع ويقدمه بثوب شفيف ممتع ومفيد لتنتفع به أمته الإسلامية التي أكثر من التلفظ بها في هذه الرسالة...فثقافته وثقافة غيره لم تعد تحمل وجهها القديم؛ وإنما اكتسبت

(171) انظر حديث الشعر والنثر 48.
(172) انظر ابن المقفع 233- 235.

obeikandl.com

وجهاً جديداً مشرقاً، إنه الوجه الإسلامي، ولغته لغة القرآن الكريم.

إن رغبة الذات المبدعة في إصلاح الواقع الاجتماعي والسياسي واتساع أفق تصورهما الحقيقي هي التي ساعدت ابن المقفع على مواجهته لمعالجة المفاسد التي شاعت في بطانة الحكم...ولعل من لأبرز الصور الجمالية المنفردة في هذه الرسالة تلك الجمالية الناتجة عن اندماج الحركة المتمردة في نفس ابن المقفع بالاستجابة الفطرية لحركة الحياة الصحيحة لبناء المجتمع، وهي حركة تثير أخيلة شتى ومشاعر متعددة لدى المتلقي، تبعاً لخبرته وثقافته واستعداده وسعة أفقه. فهو يشخص تجربته مع بطانة الحاكم المجسد بالخليفة؛ بل ليوجه ضربة قاسمة إلى الفساد واستئصاله، بعد أن كان هو وغيره مكبلين به. إنه حين يشعر بأنه حل مشكلة من مشكلات مجتمعه فكأنما قبض على الحياة، واستحوذ على العدل؛ لأن الرعية لم تعد مادة للإذلال والبيع. ولعل هذا ما نجده في رسالته التالية (رسالة اليتيمة).

رسالة اليتيمة:

سبق أن رجحنا أن هذه الرسالة لا علاقة لها برسالته الأخرى (الدرة اليتيمة والجوهرة الثمينة)[173]؛ وليست هي في شيء من كتابيه (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) لا من قريب ولا من بعيد. فرسالة اليتيمة كما نقلها أحمد زكي صفوت في كتابه (جمهرة رسائل العرب) عن (كتاب المنظوم والمنثور) لابن طيفور لا تتجاوز أربع صفحات ونصف ولكن ابن طيفور قرظها إذا جعلها من الرسائل المفردات اللواتي لا نظير لها ولا أشباه، وهي أركان البلاغة،

(173) راجع ما تقدم حاشية 45- 50 من هذا الفصل.

obeikandl.com

ومنها استقى البلغاء؛ لأنه نهاية في الكلام المختار من الكلام، وحسن التأليف والنظام)[174]. وقد اقتصر على قطعة من أولها لشهرتها بين الناس، ولم يكن يدري أنها ستضيع بعده، ولهذا نظر بروكلمان إلى هذه القطعة المتبقية فلم يجد فيها شيئاً ذا بال فوصفها بقوله: (بحث تافه بين الراعي الطيب والرعية السيئة)[175].

ولعل حكم بروكلمان صدر عليها بالقياس إلى ما رآه من كتابات ابن المقفع في كليلة ودمنة، ورسالة الصحابة؛ والأدب الكبير، وإننا لنرى أن بروكلمان قد ظلم هذه القطعة ظلماً كبيراً؛ لأننا نرى فيها وجهاً جديداً من تفكير ابن المقفع؛ على الرغم من أنها تتقاطع مع آثاره في الحديث عن جور السلطان وفساده، وقد أشرنا من قبل من أنه مشغول بفكرة الراعي والرعية والسعي إلى إصلاح نظام الحكم وحال المجتمع، فحين تحدث في (رسالة الصحابة) عن السلطان وبطانته الفاسدة لابد له أن يستكمل حديثه عن الوجه الآخر في نظام الخلافة وهو الرعية وموقفها من السلطان الصالح، أو السلطان الجائر. فالرعية لا تقوم بغير السلطان والسلطان لا يقوم إلا بها؛ وهي التي تجعل منه حاكماً صالحاً أو حاكماً سيئاً.

ولما أراد معالجة هذه الفكرة شرع يصف أحوال أهل زمانه؛ وكأن هذا الزمان الذي يعيش فيه هو آخر الأزمنة عنده، ولكنه لم يقل ذلك مباشرة وإنما أخذ يجيب على أسئلة بعض القوم عن أقسام الزمان باعتبار أهله فوجدها أربعة. فخيار الأزمنة ما مضى من العهود الضاربة في القدم، لأن الإمام والرعية كانوا

(174) انظر جمهرة رسائل العرب 3/ 48 عن لبن طيفور.
(175) انظر تاريخ الأدب العربي 3/ 100 (بروكلمان)

obeikandl.com

جميعاً من أهل الصلاح والخير، ثم يليه زمن آخر في المرتبة يتمثل في صلاح الوالي وفساد الناس؛ وأدنى منه منزلة أن يفسد الوالي ويصلح الناس؛ أما شر الأزمنة فهو في فساد الوالي والناس على السواء.

ومن هنا ينتقل إلى كيفية إصلاح الناس؛ فيضع الرؤية الذاتية التي يملكها للتخلص من الفساد؛ مما يقوي الميل لدينا أنه ما توكل بإصلاح الفساد؛ إلا حينما رآه طاماً عاماً، لكنه اتبع أسلوباً دقيقاً وموحياً في معالجة ذلك، ففساد الوالي أعظم من فساد الرعية؛ لأن للإمام منزلة الريادة في الصلاح؛ فبصلاحه تصلح قلوب الرعية الفاسدة الضالة؛ إذ يقول: (بقلب الله له بصلاحه قلوبهم، ويفتح له أسماعهم وأبصارهم؛ فيجمع ألفتهم، ويقوم أودهم؛ ويلزمهم مراشد أمورهم؛ وتتم نعمة الله على أمير المؤمنين؛ بأن يصلح له وعلى يديه فيكونوا رعية خير راعٍ، ويكون الراعي خير رعية؛ إن شاء الله، وبه الثقة)[176]. وكأني ابن المقفع يقرر فساد الوالي قبل الرعية؛ ولا شيء أدل على هذا من أنه انتقل إلى نصائح كثيرة ومباشرة للحاكم كي يأخذ بها في حكمه يدور بعضها حول العلم والمعرفة والحلم والعقل، والاستشارة، والحق والعدل، فإذا أخذ بها حصلت الرعية على أحسن ما تريد، وحصل له منها على ما يطلبه ويرجوه. ولما رغب في تحقيق الإصلاح الاجتماعي والسياسي طفق يرى في أمير المؤمنين كل مكرمة وحمد وشرف وأصالة محتد، وهكذا كله يجعله أهلاً للإصلاح.

ومن هنا كانت خاتمة الرسالة (فمن كان سائلاً عن حق أمير المؤمنين في معدنه فإن أعظم حقوق الناس منزلة، وأكرمها نسبة، وأولاها بالفضل حق

(176) جمهرة رسائل العرب 3/ 59.

obeikandl.com

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بني الرحمة وإمام الهدى، ووارث الكتاب والنبوة؛ والمهيمن عليهما، وخاتم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً؛ ثم هو باعثه يوم القيامة محموداً، شرع الله به دينه، وأتم نوره على عهده، ومحق رؤوس الضلالة وجبابرة الكفر؛ وخوله الشفاعة، وجعله في الرفيق الأعلى(ص)[177]

ولسنا نرتاب في أن هذه الرسالة موجهة إلى أبي جعفر المنصور؛ وإن لم يصرح باسمه؛ لأن خاتمتها تدل على ذلك؛ وهي من أواخر ما كتب في حياته، ولكنه لم يكتبها ليرفعها إليه، وإنما خطها باعتبارها مذكرة خاصة لنفسه؛ ولا يمتنع عقلاً ولا منطقاً ألا يتداولها مع الخلص من أصحابه، ثم نقلها بعضهم إلى الناس؛ ومن ثم قرعت آذان الخليفة، وأدُركت إشاراتها البعيدة، فهي ذات أسلوب غير مباشر في نقد الحكم، وهذا هو أسلوب ابن المقفع فضلاً عن التوزان في العبارات والتراكيب المتراكبة المتقاربة، وخاتمها بالثناء والتحميد الذي ورثه من صديقه عبد الحميد الكاتب الذي كان يطيل بأسلوب الثناء والتحميد في مطالع رسائله وخواتيمها.[178] والفكرة التي يعقدها ابن المقفع في هذه الرسالة على غاية من الأهمية؛ إنها فكرة زمانية راقية قائمة على أساس جديد في تقسيم الزمن. فالزمن لم يعد لديه زمناً موضوعياً؛ أو فيزيائياً يدور الإنسان في فلكه، ويتحرك في دائرته؛ وإنما أصبح يحمل مفاهيم الرجل وأفكاره المرتبطة بالمجتمع، فالزمن أخذ يحتل مكانة رفيعة في نفسه وفي

(177) جمهرة رسائل العرب 3/ 52.
(178) نظر المصدر السابق 2/ 464 و 469- 472 و 53/3 وبعد.

obeikandi.com

حياته وحياة الناس باعتبار ما يجري فيه، وما تكثفه دلالة أحداثه، إنه ينقلنا من الزمن الفيزيائي السكوني إلى الزمن الاجتماعي الفاعل، وكأني به قد لمح ما قاله الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فاستلهمه ليجعله مادة في تحليل الواقع السياسي والاجتماعي الذي يراه. وكان الإمام قد قال: (أيها الناس!! إن قد أصبحنا في دهر عنود؛ وزمن كنود؛ يعد فيه المحسن مسيئاً، ويزداد فيه الظالم عتواً؛ لا ننتفع بما عملنا، ولا نسأل عما جهلنا؛ ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا)[179]. فالإمام (رضي الله عنه) يرى أن زمن الجور والضلال يحيق بالناس من كل اتجاه؛ وهم مادته وأدواته، فقد خرجوا عن العدل والحق بحكم استيلاء الباطل على عقولهم وسيادة الجهل بدل العلم، فبدا المسيء محسناً، والقبيح جميلاً، ونسبوا إلى كل محسن إساءات لا حصر لها حسداً من عند أنفسهم وطمعاً.

فلو كان هذا الزمان زمان عدل؛ وفيه الحاكم الصالح لما وصل الحال إلى ما وصل إليه في الرعية، لقد استولى الجور والسوء والجهل والرذيلة على هذا الزمان، فلم ينتفع أهله بالعلم والمعرفة، وقصروا عن إدراك الحق والعدل. ولهذا فهم لا يسألون عما جهلوا، ولو ردد المرء في هذا كله وأعاد تأمل ما قاله ابن المقفع في رسالته تلك لما وجد فارقاً كبيراً في الرؤية، بل أن ابن المقفع ملئ كنانته عن مفهوم الزمن من قراءاته لأقوال الإمام أو سماعه بها، ولا شك أن طريقة المعالجة مغايرة لكن الرؤية واحدة، والمادة متشابها، .فكلاهما يصر على أنه يعيش في زمان امتلأ بالانحراف عن جادة الحق وعلاجه الوحيد الأخذ

(179) نهج البلاغة 1/ 173 وانظر فيه 2/ 197، وانظر فكرة الزمان في الدراسات العربية- مجلة التراث العربي ص 54-55.

obeikandl.com

بالعدل والعلم والمعرفة والحق والعقل، ولهذا صور كل منهما رفضه للزمان لا لأهله. فالزمن عندهما زمن الوعي الحضوري الذاتي لما يجري حولهما ويقع من أحداث سياسية واجتماعية، إنه زمن ذاتي اجتماعي فكري، يضغط على أعصاب كل منهما. إنه معادل موضوعي رمزي وفق ظاهرة المجاز الإسنادي إلى الزمن فابن المقفع وقبله أمير المؤمنين إنما يرفضان العبث السياسي والاجتماعي والفكري الذي استشرى في زمنهما، مما جعلهما يحملانه الوزر في إشارة مثيرة لرفض ذلك كله.

وبهذا يصبح التركيب صورة موازية للمعاناة الذاتية والاجتماعية؛ ولكنها صورة جمالية يجد فيها السامع آفاقاً من الرؤى ما كان ليجدها لو سيقت بأسلوب مباشر، فصورة الزمن المجازية لم تحمل غايتها غاية تزيينية فحسب وإنما حملت وظيفة نفسية وفكرية أدت إلى تفاعل حقيقي معها، فالعلاقة التي تقوم بين الدلالة المجازية والحقيقية تعبر أيما تعبير عن أبعادها المختلفة و حين تستعمل الدلالة في إطار مجازي إنما تؤكد غنى الموقف الذاتي والفكري لصاحبها، فالمجاز بهذا الشكل لم يعد مجرد شكل بلاغي وإنما هو علاقة (بين الدال والمدلول حيث تقوم المساحة أو الفضاء الداخلي للغة)[180]. وهذا كله يوحي بأن الرسالة ليست بحثاً تافهاً بأي حال من الأحوال، فهي موقف من الوضع السياسي الذي يحيط به قدمه بإطار مجازي يحمل القدرة على إغراء المتلقي وإقناعه.

(180) انظر بلاغة الخطاب وعلم النص 138.

obeikandi.com

رسائل أخرى:

هناك العديد من الرسائل الأخرى التي طبعت هنا وهناك[181]،وقد جمع أغلبها كتاب (رسائل البلغاء) و(جمهرة رسائل العرب). وهناك العديد من الحكم والوصايا التي نشرها محمد كرد علي تحت عنوان (حكم ابن المقفع) ثم نشرها عبد العزيز الخانجي في القاهرة مع (حكم بيدبا الفيلسوف)[182].

وكان علي بن أحمد الحلبي قد نشر هذه الحكم بالقاهرة سنة (844هـ)وذكر في أولها أنها (كتاب الأدب لابن المقفع)[183]. ومن يقرأ هذه الحكم في مضانها يدرك أنها ليست (الأدب الكبير) ولا (الأدب الصغير)، ولا اليتيمة لأنه قد يخيل أنها (الأدب الصغير) لكون طريقتها مشابهة لطريقة الحكم – نوعا ما - كما وردت فيه.

ولعل هذه الطريقة تشكك في نسبتها إليه؛ فضلاً عن أنها لم يعرف لها عنوان غير الذي وضعه المحدثون، فهي مجرد حكم مجموعة لا رابط بينها، على حين أنه يمكن ربط الحكم الموجودة في كتاب (الأدب الصغير) بموضوعات جزئية أهمها السلطان، والصداقة، والأدب، ويرى بعض المحدثين أن هذه الحكم قد تكون سقطت من كتاب آخر لابن المقفع؛ ولا يمكن أن تكون رسالة قائمة بذاتها. (وربما كان ابن المقفع قد ذكر هذه الحكم في رسالة من

(181) انظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 100.
(182) انظر رسائل البلغاء 118- 120 ونشرت حكم ابن المقفع على هامش (كتاب شرح حديث الداري) لابن تيمية في القاهرة 1906م وفي مجموعة أخرى طبعت بالقاهرة أيضاً سنة 1324هـ؛ انظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) 3/ 100.
(183) انظر رسائل البلغاء 118 وابن المقفع 141.

obeikandl.com

رسائله على سبيل الاقتباس)[184].

ومهما قيل في هذه الرسالة فإن بروكلمان يرجح نحلها في وقت متأخر ونسبتها إلى ابن المقفع وكذلك حال بعض الرسائل الأخرى المنشورة في (رسائل البلغاء)[185]. ويشك بروكلمان أيضاً في الكتاب المسمى (الأدب الوجيز) أو (أدب الوجه) للولد الصغير (ولا يوجد منه إلا تهذيب باللغة الفارسية كتب سنة (633هـ/ 1235م) لناصر الدين عبد الرحيم...)[186]. وهناك رسائل أخرى متعددة في شؤون اجتماعية متنوعة؛ يغلب عليها القصر والإيجاز، والتعبيرات السهلة والشائعة، وهي تنتمي إلى الرسائل الإخوانية[187]. وإذا كنا سنثبت في نهاية بحثنا شيئاً من كتاباته فإننا نمثل لرسائله الإخوانية بواحدة منها كتبها إلى أحد أصدقائه يعزيه فيها عن ولده. وفيها يظهر عمق إيمانه؛ وتأثره بالقرآن الكريم؛ حيث يقول: (إنما يستوجب على الله وحده؛ من صبر لله بحقه. فلا تجمعن إلى ما فجعت به من ولدك الفجيعة بالأجر عليه والعوض منه. فإنها أعظم المصيبتين عليك، وأنكى المرزئتين لك. أخلف الله عليك بخير؛ وذخر لك جزيل الثواب)[188].

(184) انظر ابن المقفع 143.
(185) انظر رسائل البلغاء 132- 138.
(186) انظر تاريخ الأدب العربي 3/ 56.
(187) انظر جمهرة رسائل العرب 53/3 وبعد.
(188) جمهرة رسائل العرب 3/ 56.

obeikandl.com